هُوَ ٱلَّذِى

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ

.. في كتاب الله تعالى ، نرى أنَّ الإنسان – في هذه الدنيا – يتكوَّن من عنصرين أساسيّين هما : النفس ، والجسد .. ونرى أنَّ النفس لا تنتمي لهذا العالم المحسوس الذي ندركه بحواسّنا ، والمحكوم لقوانين المكان والزمان ، وأنَّها تُصبح محكومة لهذه القوانين بعد حلولها في الجسد ، ونرى أنَّها موجودة قبل الجسد .. فقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ [الأعراف : ١١] ، يُبيّن لنا أنَّ الأنفس البشريّة كلَّها دون استثناء خُلقت جميعاً كلبنة أولى في وجودها : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ ، ثمَّ – بعد ذلك – تَمَّت مرحلة لاحقة ، هي خلق (وجعل) صورها ، كما سنرى في هذا البحث بإذن الله تعالى : ﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ ، ثمَّ – بعد ذلك – جاء

الأمر الإلهي للملائكة بالسجود لآدم : ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ ﴾ .. وبالتالي .. بعد كلِّ ذلك بدأت قصّة البشريّة على وجه الأرض ..

.. وفي مرحلة عالم الأنفس تلك ، حيث أنفس جميع الناس موجودة في ذلك العالم ، عرض الله تعالى الأمانة على المخلوقات ، بمعنى : تخييرها بين أن تكون مُسيَّرة في عالم الدنيّا الحسّي الكثيف هذا الذي نعيش فيه ، وبين أن تكون مخيّرة فيه بإرادة مستقلّة وبحريّة الطاعة والعصيان ، فاختارت أنفسنا حمل الأمانة ، بأن تمتحن بإرادة مستقلّة وبحريّة ..

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢]

.. وفي ذلك العالم أشهد الله تعالى هذه الأنفس على ذواتها ..

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢ - ١٧٣]

.. فثنائية تكوين الإنسان من عنصري النفس والجسد ، هي حقيقة يحملها كتاب الله تعالى ، والآيات الكريمة التي تصوِّر خلق الإنسان ، تناول بعضها جانب الجسد كخلق مادّي ، وتناول بعضها الآخر جانب النفس كقيمة معنويّة غير حسيّة ..

.. وللأسف .. جميع التفاسير والأبحاث حصرت جميع الآيات بخلق الجسد ، وتعاملت مع الآيات الكريمة الخاصّة بتبيان خلق النفس على أنَّها تبيانٌ لخلق الجسد ، وترافق ذلك مع الإعراض عن جوهر دلالات الآيات الكريمة الخاصّة بخلق النفس ..

.. والآيات الكريمة المتعلّقة بخلق جسد الإنسان ، وقفْتُ عندها في كتبي ومقالاتي بشكلٍ مفصَّل ، ولا يُوجد داعٍ لتكرار ما بيّنته .. المسألة المُلحّة والتي بحاجة لشرح كون

جميع التفاسير والأبحاث للسابقين واللاحقين – على حدٍّ سواء – خلطوا بها وأعرضوا عنها ، هي تفسير الآيات الكريمة المتعلّقة بتبيان خلق نفس الإنسان ، والتي منها الآيات الكريمة :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء : ١]

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ [الأنعام : ٩٨]

﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٩ – ١٩٠]

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [الزمر : ٦]

.. نعلم من كتاب الله تعالى ، أنَّ النفس بمعناها المجرَّد تعني الذات : ﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾ [النحل : ١١١] ، فالعبارة : ﴿ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾ تعني : تجادل عن ذاتها وكينونتها ..

.. وهذا أمرٌ طبيعيٌّ كون الإنسان في قيمته وذاته هو عنصر النفس ، وأنَّ الجسد ليس أكثر من وعاءٍ لها ، وأداةٍ من خلالها تطلّ النفس على هذا العالم المادّي المحسوس .. يقول تعالى واصفاً عنصر النفس بأنَّه يتوفّاه الله تعالى في المنام :

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ ﴾ [الزمر : ٤٢]

وعنصر النفس هذا الذي يتوفّاه الله تعالى في المنام ، خاطبه الله تعالى بكونه الإنسان ..

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الأنعام : ٦٠]

.. فالإنسان كقيمة وذات ، هو النفس ، وعنصر الجسد هو الوعاء المادّي لهذه النفس ، وأداةُ إطلالتها على هذا العالم المادّي المحسوس .. لذلك .. نرى أنَّ بعض الآيات الكريمة التي يتعلَّق بها قول الله تعالى بالإنسان (نفساً وجسداً) ، ترد صياغتها من زاوية خطاب النفس ، كون هذه النفس هي جوهر الإنسان وعنصر التعقّل فيه ، فهي – كما قلنا – تعني ذات الإنسان وكينونته ، وما الجسد إلاَّ وعاء لها ..

.. والعبارات القرآنيّة التالية ، لا يستقيم إدراك دلالاتها إلاَّ بكونها تصوِّر خلق النفس المُجرَّدة عن الجسد :

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [النساء : ١]

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٩ – ١٩٠]

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [الزمر : ٦]

.. فالعبارة : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ تخاطب جميع البشر دون استثناء ، وفي كلِّ زمانٍ ومكان ، لتصوِّر مرحلة خلق مرَّ به جميع البشر دون استثناء ، وذلك قبل المرحلة المُصوَّرة بالعبارات التالية لها .. فالضمير في كلمة : ﴿ خَلَقَكُم ﴾ يتعلَّق بكلِّ الناس دون استثناء ، وبالتالي فهذه العبارة القرآنيّة ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ترسم صورة مرحلة أولى خُلِقَت فيها أنفس جميع البشر ، دون استثناء ..

.. بعد هذه المرحلة ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ، والواردة بذات الحرفيّة في كلِّ النصوص السابقة ، تأتي مرحلة لاحقة نراها في العبارات التالية مباشرة لهذه العبارة في هذه النصوص : [[﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ،، ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ،، ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾]] ..

.. إذاً .. خلْق (وجعْل) زوج هذه النفس الواحدة ، التي خُلقت منها كلُّ نفوس البشر ، إنّما كان مرحلةً لاحقة على خلق جميع البشر من نفسٍ واحدة ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ .. وبالتالي فإنَّ سحب العبارة القرآنيّة ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ على خلق آدم عليه السلام ، وسحب العبارات القرآنيّة : [[﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ،، ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ،، ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾]] على خلق زوجه حواء ، كما تذهب تفاسيرنا الموروثة والمعاصرة ، لا يلامس منطق صياغة هذه النصوص القرآنيّة ، لا من قريب ولا من بعيد .. فليس من المعقول أن يخلق الله تعالى جميع البشر من آدم عليه السلام إلى آخر إنسان يظهر بجسدٍ على هذه الأرض ، وبعد ذلك يعود لآدم ليخلق منه حواء .. هذا مستحيل .. وحتَّى لو أعرضنا عن صياغة هذه العبارات القرآنيّة وحصرنا دلالاتها بالتصوّر المادّي الجسدي كما تذهب تفاسيرنا الموروثة والمعاصرة ، فإنَّ البشر لم يُخلقوا من آدم عليه السلام ، إنّما من آدم وحواء ..

.. صياغة هذه العبارات القرآنيّة تقول : خلق الله تعالى جميع البشر من نفسٍ واحدة ، جميع البشر دون استثناء ، وبعد ذلك خلق (وجعل) من هذه النفس الواحدة (ولجميع البشر دون استثناء) زوجها .. فالله تعالى لم يقل : (هو الذي خلق نفساً واحدة ، وخلق (وجعل) منها زوجها ، وخلقكم منهما .. أو : (هو الذي خلق نفساً واحدة ، وخلق (وجعل) منها زوجها ، وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساء .. عند ذلك فقط يكون التفسير الموروث سليماً .. ما نراه أنَّ صياغة هذه العبارات القرآنيّة مختلفة تماماً عن ذلك اختلافاً كبيراً ..

.. التفسير الموروث الذي يذهب إلى أنَّ العبارة القرآنيّة ﴿ نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ، في قوله تعالى ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ تعني آدم عليه السلام .. وأنَّ كلمة ﴿ زَوْجَهَا ﴾ في العبارات القرآنية التالية لها مباشرة : [[﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ،، ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا

زَوْجَهَا ﴾ ،، ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾]] تعني حواء ، ليس سليماً على الإطلاق ، حيث يتبيَّن معنا ذلك في الوقوف عند النقاط التالية ..

أولاً .. بين أيدينا عبارة قرآنيّة مُكوَّنة من أربع كلمات : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ، ترد بالصيغة ذاتها في ثلاثة أماكن في كتاب الله تعالى .. بذات الصيغة اللغويّة تماماً .. وهي جملة تامّة مستقلّة في دلالاتها ، وتتبعها جُمل ، كلٌّ منها تبدأ بحرف عطف ، وتحمل دلالات مرحلة أُخرى لها استقلاليّتها عن المرحلة المحمولة بهذه العبارة القرآنيّة .. كلُّ ذلك يفرض علينا أنَّ العبارة : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ تحمل الدلالات ذاتها ، للمرحلة ذاتها المعنيّة في جميع أماكن ورودها .. وما يتغيّر في الدلالات ما بين هذه النصوص التي ترد بها هذه العبارة ، يعود للعبارات المختلفة التالية لها ..

.. مثلاً .. في كتاب الله تعالى نرى عبارة قرآنيّة مكوَّنة من أربع كلمات ، وترد ثلاث مرّات ، هي : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ ..

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران : ١٨٥]

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٥]

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ٥٧]

.. هل من الممكن أن تكون العبارة : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ ، تحمل دلالات مختلفة عن الدلالات التي تحملها هي ذاتها في المكانين الآخرين ؟!!! ..

.. ما أودّ قوله : العبارة القرآنيّة : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ هي لبنة معنى واحدة متماثلة ما بين كلِّ النصوص التي ترد فيها ، ولا يجوز سحب دلالاتها (هي بذاتها) باتجاهات مختلفة ما بين مرات ورودها ..

ثانياً : معلوم من كتاب الله تعالى أنَّ لفظ الزوج لا يرد إلاَّ بصيغة المذكَّر ، ويُطلق على المرأة والرجل ، بمعنى : الرجل زوج المرأة ، والمرأة زوج الرجل .. فكلمة زوجة لا وجود لها في كتاب الله تعالى ..

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب : ٣٧]

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [المجادلة : ١]

.. والنفس ترد بصيغة المؤنَّث حصراً ، ولا ترد بصيغة المذكَّر ..

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ٥٧]

.. في العبارة القرآنيّة ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ، نرى تأنيث النفس الواحدة المعنيّة ، وهنا ، من الممكن لمن يذهبون أنَّ النفس الواحدة تعني آدم أن يقولوا : المعنى هنا يتعلَّق بذات آدم وليس بشخصه كذكر .. لكن .. نرى أيضاً أنَّ الضمير المتَّصل في كلمة ﴿ زَوْجَهَا ﴾ في العبارات القرآنية التالية لها : [[﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ،، ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ،، ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾]] يعيد خلق الزوج (وجعله) إلى النفس الواحدة كقيمة مؤنّثة .. وفي سورة الأعراف ، يتجلّى ذلك بشكلٍ لا يمكن إغماض الأعين عنه ، بأنَّ النفس الواحدة المعنيّة مؤنَّثة ، وأنَّ زوجها مذكَّر :

﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت ..... ﴾ [الأعراف : ١٨٩]

.. إعادة العبارة القرآنيّة ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ لذات آدم عليه السلام ، كذات ممكن أن تُوصَف بصيغة الأنوثة ، لا تستقيم في هذه الآية من سورة الأعراف ، وبالتالي في مرتي ورودها في النساء والزمر ، وذلك لأنَّ زوج هذه النفس الواحدة والمخلوق منها ، يُوصَف بصيغة المذكر ، وتوصف هذه النفس الواحدة بصيغة المؤنَّث ، في كامل السياق الذي يصف تفاعلهما مع بعضهما .. فلو فرضنا جدلاً أنَّه في العبارة الأولى ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ تعلّقت صيغة التأنيث بذات آدم ، ولو فرضنا جدلاً أنَّ صيغة التذكير في العبارة ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ تعود لكون الزوج لا يأتي إلاّ بصيغة المذكَّر .. لو فرضنا ذلك جدلاً .. فإنَّ هذا الفرض ينتهي في العبارات التالية لهاتين العبارتين في الآية التي في سورة الأعراف ، حيث لا تأتي النفس الواحدة إلاَّ مؤنّثة ، ولا يأتي زوجها إلاَّ مذكراً ، وذلك في العبارات المصوِّرة لتفاعلهما مع بعضهما كما نرى ..

.. فالنفس الواحدة مؤنَّثة بماهيّتها هي ، وزوجها مذكَّر بماهيّته هو .. وهذا ما دفع بعضهم ليقول : العبارة القرآنيّة : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ تعني حوّاء ، والعبارة القرآنيّة : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ تعني آدم .. لكن هذا التصوّر أيضاً ليس سليماً على الإطلاق ، لأنَّ سياق الآية كما نرى يصف النفس الواحدة وزوجها بأنَّهما أشركا ، وهذا ينفي كون القصّة تتعلَّق بآدم وزوجه ، ولأنَّ التصوير القرآني في خلق الإنسان الأوَّل وما رافق ذلك من أحداث حتى اعتراض إبليس على السجود لهذا المخلوق الأوَّل ، كلّ ذلك جاء من خلال نصوص تصوِّر هذا المخلوق الأوَّل بصيغة المذكَّر ..

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٢٩]

.. والخطاب الإلهي بعد نهاية خلق الإنسان الأوَّل ، حيث يأتي بصيغة المذكَّر ، نراه يتعلَّق بآدم ، وبكون حوّاء زوجه ..

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ..... وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [الأعراف : ١٢ - ١٩]

ثالثاً : كلمة ﴿ خَلَقَكُم ﴾ نراها بصيغة الجمع ، لتشمل جميع المُخاطبين بهذه العبارة القرآنيّة ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ في جميع مرّات ورودها .. وهذا ينفي كونها تعني شخصاً بعينه ، هو آدم عليه السلام .. فهذه الكلمة ﴿ خَلَقَكُم ﴾ التي تخاطب كل من يتلقّى هذا الخطاب القرآني ، تعني اكتمال خلق جميع البشر ، ودون استثناء ، وذلك في مرحلة الخلق المعنيّة بالعبارة القرآنيّة ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ في جميع مرّات ورودها ..

.. في التفسير الموروث حيث يُعاد المعنى في العبارة ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ إلى آدم عليه السلام ، بمعنى : بدأ خلقكم من نفسٍ واحدة هي آدم عليه السلام ، ربّما يتمُّ الاستدلال على ذلك بصياغة بعض النصوص القرآنيّة ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ..... ﴾ [الحج : ٥]

﴿ ..... إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ [الصافات : ١١]

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾ [الروم : ٥٤]

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ ..... ﴾ [فاطر : ١١]

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ..... ﴾ [غافر : ٦٧]

.. ربَّما يقولون : انظروا إلى هذه النصوص .. الله تعالى يقول : [[﴿ خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ ،، ﴿ خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ ،، ﴿ خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ﴾ ،، ﴿ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾]] ، وصيغة الجمع [[﴿ خَلَقْنَٰكُم ﴾ ،، ﴿ خَلَقْنَٰهُم ﴾ ،، ﴿ خَلَقَكُم ﴾]] ، تماثل وتحاكي صيغة الجمع في العبارة : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ .. فهل خلق الله تعالى جميع البشر (المخاطبين بهذه الآيات الكريمة) من تراب دفعة واحدة ، أو من طين دفعة واحدة ، ثمَّ – بعد ذلك – عاد إلى جميع البشر فخلقهم من نطفة دفعة واحدة ؟ .. ثمَّ – بعد ذلك – عاد إلى جميع البشر فخلقهم من المراحل التي تبيّنها النصوص دفعة واحدة لكلِّ مرحلة : ﴿ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ﴾ ؟!!! .. وبناء على ذلك .. لماذا يحقُّ لنا أن نقول : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ تعني اكتمال خلق أنفس جميع البشر دفعة واحدة ودون استثناء ؟!!! .. لماذا لا يكون المعنى : أنَّ أصل خلق جميع البشر ودون استثناء ، هو من ذات واحدة هي ذات آدم (أبي البشريّة) عليه السلام ، كما تذهب جميع تفاسيرنا الموروثة والمعاصرة ؟!!! ..

.. نقول : المقارنة ليست سليمة على الإطلاق .. فهذه النصوص الكريمة تذكِّر الإنسان بإيجاده جسداً ، في عالمٍ ماديٍّ يشهده ، ومحكومٍ لقوانين المكان والزمان .. وفي هذا العالم المادّي الذي يشهده ، ليست النطفة هي المادّة الأولى في وجوده جسداً .. أبداً .. النطفة التي هي اجتماع الحيوان الذكري مع البويضة الأنثويّة ، تكوَّنت من مواد أولى في جسد الأبوين ، ولم تُخلق من العدم ، وهذه الموادّ الأولى كلُّها تعود في أصلها إلى التراب ، فالغذاء الذي يتناوله الإنسان وينبت به جسده ، ومنه تُخلق البويضة والحيوان الذكري ، يعود في نهايته لموادّ جميعها أتت عن طريق التراب .. فالتراب (وليس النطفة) هو المادّة الأولى في خلق جسد الإنسان ، أيِّ إنسان في كلِّ مكانٍ وزمان ..

.. وهذا الخلق من التراب حيث ينبت جسد كلِّ إنسان في هذه الدنيا عبر غذاءٍ يعود في النهاية إلى التراب ، ابتداء من النطفة التي تعود مكوّناتها إلى التراب ، هو محاكاة – بطريقة مختلفة – لخلق الجسد الأوَّل (جسد آدم) الذي كان من التراب كمادّة أولى .. ومن آدم عليه السلام إلى الآن ، كانت مادّة التراب التي تُخلَق منها النطف عبر الأجيال ، هي الحامل لهذا الخلق ، حتى المُخاطبين بهذه النصوص الكريمة .. لكن .. في النهاية .. المادّة الأولى في خلق أجسادنا – نحن المتلقّين لخطاب النصِّ القرآني في هذه الدنيا – ومن البداية لوجودنا في هذه الدنيا ، هي التراب ، بما يحمله من عناصر نأخذها عن طريق غذائنا ..

.. فالمؤمن الذي كان يحاور صاحبه في سورة الكهف ، جاء له بمقدّمات حسيّة من عالمنا ، وليس من عالم الغيب حيث خُلِق جسد آدم عليه السلام ، كون الكافر لا يؤمن أصلاً بذلك الغيب ..

﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ [الكهف : ٣٧]

.. فالنطفة التي جاء منها هذا الكافر ، لم تُخلَق من العدم ، لقد خُلِقَت من موادّ أولى كلُّها تعود إلى التراب ، والكافر يشهد ذلك في عالمه المادّي الذي لا يؤمن إلاّ به ، كما أنَّه يشهد في الوقت ذاته حالة النطفة ، وحالة البلوغ .. وكلمة : ﴿ خَلَقَكَ ﴾ في هذا الخطاب الموجَّه للكافر ، تعني الكافر ذاته ، ولا تعود إلى أصل خلقه من آدم الذي خُلق من تراب .. فكيف ينطلق المؤمن في حواره مع هذا الكافر من مقدّمات لا يؤمن بها هذا الكافر أصلاً ؟!!! ..... من هنا نرى أنَّ العبارة : ﴿ خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾ ، يعني بها المؤمن (وفهمها الكافر) ، أنَّ جسدك وُجد في عالم الدنيا من مادّة أولى هي التراب ..

.. وحتّى لو فرضنا أنَّ العبارات القرآنيّة [[﴿ خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ ،، ﴿ خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ ،، ﴿ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾]] تعود لأصل خلق جسد آدم الذي كان من التراب والطين ، فإنّه بالنسبة للمخاطبين بهذه النصوص الكريمة ، قد تمَّ هذا الخلق وانتهى قبل تلقّيهم لهذا الخطاب .. جميعهم ودون استثناء ، تمَّ خلق جسد أبيهم آدم من التراب والطين ، وانتهى ذلك تماماً ، قبل تلقّيهم لهذا الخطاب القرآني ..

.. ولا يمكنهم الاحتجاج على ما يذهبون إليه ، بقوله تعالى ..

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ [الأنعام : ٢]

نرى أنَّ كلمة : ﴿ خَلَقَكُم ﴾ تخاطب جميع البشر المتلقّين لهذا الخطاب القرآني ، فهم جميعاً تمَّ خلق أجسادهم من عناصر كلُّها تعود إلى الطين ، فهم جميعاً انتهى خلقهم من طين في نهاية المرحلة المُصوَّرة بالعبارة : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ﴾ .. وبعد أن اكتمل خلقهم جميعاً في هذه الدنيا ، تلقّوا قضاء الله تعالى المنهجي بعقولهم ووعيهم ، حيث يدركون به الآجال عبر ربط المقدّمات بنتائجها : ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ﴾ .. ولكن .. مهما سيختارون ويفعلون ، يعلم الله تعالى بعلمه المُسبَق المُسجَّل في أمِّ الكتاب ما سيختارون ويفعلون وما سيكون : ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ ..

.. وحتّى لو فرضنا أنَّ العبارة القرآنيّة : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ لا تعود إلاَّ لأصل خلق جسد آدم الذي كان من الطين ، فإنّه بالنسبة للمخاطبين بهذه النصوص الكريمة ، قد تمَّ هذا الخلق وانتهى قبل تلقّيهم لهذا الخطاب ..

.. أمَّا سحب مثل هذه النصوص الكريمة إلى تصوّرٍ مفاده : انتهاء مرحلة الخلق من تراب ودفعةً واحدة لكلِّ البشر ، قبل مرحلة الخلق من النطفة دفعة واحدة لكلِّ البشر ، وهكذا .. وذلك كمحاولة لمحاكاة العبارة القرآنيّة ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ .. فهذا ليس سليماً على الإطلاق ..

.. ما يجب أن نعلمه أنَّ هذه الآيات الكريمة ، وبقرائن واضحة جليّة في ظاهر صياغتها اللغويّة ، تتحدَّث عن الجسد في عالمنا عالم المادّة ، وهذا العالم محكوم لقوانين المكان والزمان ، فكلُّ ما فيه يخضع لهذه القوانين .. وكلُّ المفردات الواردة في مثل هذه الآيات [[﴿ تُرَابٍ ﴾ ،، ﴿ نُّطْفَةٍ ﴾ ،، ﴿ عَلَقَةٍ ﴾ ،، .....]] تؤكِّد أنَّ دلالات هذه الآيات الكريمة هي في ساحة عالم الجسد .. وفي هذه الساحة تمرُّ الأجساد بمراحل خلق تختلف زمناً ما بين إنسان وآخر ، وحتى للإنسان نفسه فإنَّ خلق جسده يخضع للزمن ما بين المراحل المختلفة .. فموضوع الخلق دفعة واحدة ليس وارداً في عالم المكان والزمان حتّى للمرحلة الواحدة التي يمرُّ بها كلُّ البشر ..

.. وكون الخلق في العبارة : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ، هو لكلِّ البشر دفعة واحدة ودون استثناء ، بعيداً عن سيلان الزمان وسجن المكان ، نراه من كون هذه العبارة تصوِّر حالةً ليست في عالمنا الزماني المكاني هذا ، كما سنرى ، ومن كونها تصوِّر حالةً واحدة بمرحلة واحدة فقط .. فلا تُوجَد خلف العبارة : ﴿ خَلَقَكُم مِّن ﴾ ، إلاَّ عبارة واحدة تتعلَّق بها ، تُصوِّر حالة واحدة بمرحلة واحدة فقط هي : ﴿ نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ..

.. وما نراه في النصوص التي يمكن أن يحتجّوا بها ، لسحب دلالات العبارة ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ إلى ذات فرد واحد هو آدم عليه السلام :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا..... ﴾ [الحج : ٥]

﴿ ..... إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ [الصافات : ١١]

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾ [الروم : ٥٤]

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ ..... ﴾ [فاطر : ١١]

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ..... ﴾ [غافر : ٦٧]

ما نراه في هذه النصوص ، هو ورود الكلمات [[﴿ خَلَقْنَٰكُم ﴾ ،، ﴿ خَلَقْنَٰهُم ﴾ ،، ﴿ خَلَقَكُم ﴾]] ، بصيغتها هذه ، كخلقٍ تمَّ وانتهى لجميع المُخاطبين بالنصِّ القرآني ، هو ورودها مرّة واحدة فقط في بداية كلِّ نصٍّ .. ومن ثمَّ .. تتعلَّق بهذه الكلمات : [[﴿ خَلَقْنَٰكُم ﴾ ،، ﴿ خَلَقْنَٰهُم ﴾ ،، ﴿ خَلَقَكُم ﴾]] جميع مراحل خلق الجسد ، عبر عبارات قرآنيّة معطوفة عليها ، لترسم عباراتُ أيِّ نصٍّ ، حالةً واحدةً من الخلق ، لكن عبر مراحل في إطار هذه الحالة ..

.. فجميع البشر المُتلقِّين لهذا الخطاب الإلهي ، ودون استثناء ، تخاطبهم هذه العبارات القرآنيّة ، لتبيّن لهم أنَّهم جميعاً مرَّ خلْقُهم (الذي اكتمل قبل سماعهم لهذا الخطاب القرآني في حياتهم الدنيا) بهذه المراحل : من تراب ، ثم نطفة ، ثمّ علقة ... تلك المراحل التي تعود جميعها لحالة خلق واحدة : [[﴿ خَلَقْنَٰكُم ﴾ ،، ﴿ خَلَقْنَٰهُم ﴾ ،، ﴿ خَلَقَكُم ﴾]] تمَّت وانتهت .. وهذه المراحل المُختلفة (((ضمن إطار حالة الخلق الواحدة كما نرى))) ، تبيّنها العبارات التالية المعطوفة على الكلمات : [[﴿ خَلَقْنَٰكُم ﴾ ،، ﴿ خَلَقْنَٰهُم ﴾ ،،

﴿ خَلَقَكُم ﴾]] .. فكلُّ هذه المراحل ، مرَّ بها جميع البشر – دون استثناء – المخاطبين بالكلمات : [[﴿ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ ،، ﴿ خَلَقْنَٰهُم ﴾ ،، ﴿ خَلَقَكُم ﴾]] .. ولا نرى بين مراحل الخلق هذه (من تراب ثم نطفة ثمَّ ....) تكراراً لكلمة الخلق .. فالله تعالى لم يقل : (((**خلقكم** من تراب ثمّ **خلقكم** من نطفة ثمَّ **خلقكم** من .....))) ، حتى تتمّ محاكاة دلالات هذه العبارات القرآنيّة بدلالات العبارة القرآنيّة ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ .. ما نراه أنَّ الكلمات : [[﴿ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ ،، ﴿ خَلَقْنَٰهُم ﴾ ،، ﴿ خَلَقَكُم ﴾]] والتي تخاطب كلَّ المتلقّين لهذا الخطاب الإلهي ، تعني : أنَّ كلَّ البشر المخاطَبين ودون استثناء ، مرَّ خلقهم (المكتمل قبل سماعهم لهذا الخطاب القرآني ، والذي يعنيهم جميعاً ودون استثناء) بهذه المراحل ، كحالة خلق واحدة ، تحت ظلال الكلمات [[﴿ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ ،، ﴿ خَلَقْنَٰهُم ﴾ ،، ﴿ خَلَقَكُم ﴾]] التي لم تتكرَّر ما بين مراحل هذا الخلق ، في أيِّ نصٍّ من هذه النصوص كما نرى ..

.. نعم .. جميع البشر (المتلقّين لهذا الخطاب القرآني في هذه الحياة الدنيا) اكتمل خلقهم الجسدي وانتهى ، من مرحلة التراب ، إلى آخر مرحلة في خلق أجسادهم ، قبل سماعهم لهذا الخطاب القرآني .. فمراحل الخلق من التراب حتى آخر مرحلة في خلق أجسادهم ، هي مسألة خلق واحدة متكاملة ، تمَّت وانتهت بكليّتها ، وتجمعها في هذه النصوص كلمة واحدة : [[﴿ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ ،، ﴿ خَلَقْنَٰهُم ﴾ ،، ﴿ خَلَقَكُم ﴾]] ، لم تتكرّر بين مراحل هذه المسألة الواحدة ، في أيِّ نصٍّ من هذه النصوص ..

.. فعلى سبيل المثال .. العبارة : ﴿ خَلَقَكُم مِّن ﴾ في قوله تعالى : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ تقابل العبارة : ﴿ خَلَقَكُم مِّن ﴾ في قوله تعالى : ﴿ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ .. وبالتالي فكلُّ العبارات : ﴿ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ

﴿ عَلَقَةٍ ﴾ هي حالة خلق واحدة (((لكنَّها مكوَّنة من مراحل متدرّجة ، يتعلَّق تدرّجها بكونها في عالمنا الخاضع لقوانين المكان والزمان))) ، وتعني كلَّ البشر دون استثناء ، تقابل العبارة : ﴿ مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ .. فكما أنَّ جميع البشر المخاطبين بالقرآن الكريم ودون استثناء اكتمل خلقهم ومرّوا بالمراحل : ﴿ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ قبل مخاطبتهم بهذه العبارة .. كذلك .. جميع البشر المخاطبين بالقرآن الكريم تمَّ خلقهم وانتهى في نهاية المرحلة المصّورة بالعبارة ﴿ مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ..

.. لذلك .. نرى أنَّ النصَّ القرآنيَّ ، حينما يريد إلقاء الضوء على مراحل مسألة الخلق هذه ، بحيث يُعبِّر عن كل مرحلة بصفتها حالة خلق مستقلّة بذاتها ، لا نرى صيغة الجمع ، التي تشمل كلَّ الناس المخاطبين بالنصِّ القرآني ، ودون استثناء : [[﴿ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ ،، ﴿ خَلَقْنَٰهُمْ ﴾ ،، ﴿ خَلَقَكُمْ ﴾]] ... إنّما نرى الصيغ البعيدة عن مخاطبة جميع البشر : [[﴿ خَلَقْنَا ﴾ ،، ﴿ جَعَلْنَٰهُ ﴾ ،، ﴿ فَكَسَوْنَا ﴾ ،، ﴿ أَنشَأْنَٰهُ ﴾]] ..

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٢ – ١٤]

.. وهذا ما نراه أيضاً في قوله تعالى ..

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة : ٧ – ٩]

.. فالنصّ نراه يتحدَّث عن أيِّ إنسان ، وبصيغة المفرد والغائب : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ ﴾ ..... فهنا لا مشكلة في عودة كلمة : ﴿ ٱلۡإِنسَٰنِ ﴾ إلى أبي البشريّة آدم عليه السلام ، كأوَّل إنسان مخلوق في هذا العالم .. فما نراه أنَّ الله تعالى لم يقل : (((وبدأ **خلقكم** من طين ، ثم جعل **نسلكم** من سلالة من ماء مهين . ثمَّ **سوّاكم** ونفخ **فيكم** من روحه))) .. الصيغة هي صيغة المفرد والغائب ، فلا مشكلة في إعادة النصِّ ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ ﴾ إلى أصل البشريّة آدم عليه السلام ..

.. لكن .. عندما انتقل النصُّ إلى مخاطبة البشر المتلقّين لهذا الخطاب القرآني ، ليعنيهم جميعاً ودون استثناء ، نرى الانتقال إلى صيغة الجمع ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾ ، فالسمع والأبصار والأفئدة ، ليست مسائل ماديّة جسديّة ، إنّما هي قيم معنويّة ، تقتضي أن تؤدّي بالإنسان لأن يشكر خالقه جلَّ وعلا ..

.. ونعود فنقول .. إضافة إلى كون الكلمات [[﴿ خَلَقۡنَٰكُمۡ ﴾ ،، ﴿ خَلَقۡنَٰهُم ﴾ ،، ﴿ خَلَقَكُم ﴾]] تحمل صيغة الجمع ، لتشمل كلَّ المخاطبين بالنصِّ القرآني في كلِّ زمانٍ ومكان ، ولم ترد في أيِّ نصٍّ قرآني إلاَّ مرّة واحدة ، تُعطَف عليها جميع مراحل خلق الجسد ، حيث اكتملت كلُّ هذه المراحل في أيِّ نصٍّ بالنسبة للمخاطبين به ، فإنَّه علينا أيضاً ألاَّ ننسى أنَّ مسألة خلق الجسد هي في عالم مادِّي حسّي خاضع لقوانين المكان والزمان ، وأنَّ الله تعالى عندما يأتي بها كبرهان على عظمة خلقه جلَّ وعلا ، إنّما يكون ذلك من زاوية كونها حقائق يشهدها الشاكّون والمنكرون للخالق سبحانه وتعالى ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا..... ﴾ [الحج : ٥]

.. فقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن ..... ﴾ ، يبيّن حقيقة يشهدونها في عالمهم الحسّي ، أنَّ النطفة التي خُلقوا منها ، أصلها التراب .. وهذا ما نراه أيضاً في قوله تعالى ..

﴿ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه : ٥٥]

.. ونحن لا ننكر مرور خلق جسد آدم عليه السلام بمراحل : من تراب ، ومن طين ، ومن حمأ مسنون ، ومن صلصال كالفخّار ، ولا ننكر كون النطف التي خُلقنا منها ، تصل في النهاية إلى آدم المخلوق من تراب .. أبداً .. نحن نقول حتّى لو تمَّت إعادة العبارة ﴿ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ إلى شخص آدم عليه السلام ، كأب للبشريّة ، قصّةُ خلْقِهِ لها إسقاطاتُها المكانيّة والزمانيّة في كلِّ جسدٍ بشري ، فإنَّ ذلك لا يُعطي استدلالاً بأنَّ العبارة القرآنيّة ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ تعود لشخص آدم ، وذلك للأسباب التي بيّناها ..

.. إذاً .. صياغة بعض النصوص القرآنيّة التي من الممكن أن يستشهدوا بها لسحب دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ على شخص آدم عليه السلام ، مختلفة تماماً – كما بيّنا – عن صياغة العبارات القرآنيّة :

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [النساء : ١]

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٩ – ١٩٠]

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [الزمر : ٦]

.. هنا ما نراه أنَّه بعد الخلق المعني بالعبارة ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ حيث نهاية حالة خُلقت بها جميع الأنفس من نفسٍ واحدة ولجميع البشر دون استثناء ، نرى عودةً للخلق (والجعل) ، لتبيان حالة أُخرى تبدأ بعد اكتمال خلق جميع البشر المعني بالعبارة : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ .. فعندما يخاطب الله تعالى البشر بالصيغة : ﴿ خَلَقَكُم ﴾ فهو يعني نهاية مرحلة خَلْقٍ مرَّ بها جميع المخاطبين دون استثناء ..

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ..... ﴾ [النحل : ٧٠]

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ [الروم : ٢٠]

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ..... ﴾ [الروم : ٤٠]

.. من هنا نرى أنَّ دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ، في جميع النصوص التي ترد بها ، تعني خلق أنفس جميع البشر دون استثناء ﴿ خَلَقَكُم ﴾ ، كأنفس في عالم النفس ، وذلك قبل خلق جسد آدم عليه السلام .. ونقول دون استثناء ، لأنَّه في حالة عالم النفس لا يوجد سلطان للزمان والمكان ، فأنفس جميع البشر خُلقت في ذلك العالم ، وحملت – في ذلك العالم – الأمانة التي أبت باقي المخلوقات حملها ، وأشهد الله تعالى في ذلك العالم هذه الأنفس على ذاتها كما يؤكِّد كتاب الله تعالى .. وكلُّ ذلك قبل خلق جسد آدم عليه السلام ..

.. صيغة الخلق في كتاب الله تعالى ، لا تأتي أبداً إلاَّ لعالم الخلق (المحسوس وغير المحسوس) ، فالآيات الكريمة التي تبيّن لنا تعلّق العالم المحسوس بالخلق كالسماوات والأرض وأجسادنا وغير ذلك ، كثيرة في كتاب الله تعالى .. وهناك آيات كريمة تبيّن تعلّق كائنات عالم الخلق غير المحسوس (كأنفسنا ، وعالم الملائكة ، وعالم الجن) ، بصيغة الخلق ..

﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الحجر : ٢٧]

﴿ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الكهف : ٥١]

﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف : ١٩]

.. وهنا في سياق تفسيرنا للعبارة القرآنيّة المتكرّرة بذات الصيغة في ثلاثة نصوص كما رأينا : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ، لا بدَّ أن نقف عند كلمة : ﴿ وَٰحِدَةٍ ﴾ ، وعند الإضافة الدلاليّة لهذه الكلمة ، وذلك كونها ترد لازمةً لوصف هذه النفس المعنيّة في هذه النصوص الكريمة ..

.. كلمة : ﴿ وَٰحِدَةٍ ﴾ ، من الجذر : (و ، ح ، د) ، الذي يعني الانفراد عمّا هو آخر ، والبينونة عنه ، وعدم مشاركة ما هو آخر ، وعدم التحوّل إلى صيغة أُخرى تكون وجهاً آخر يمسُّ انفرادها وبينونتها ، وذلك في المسألة الموصوفة بمشتقٍّ من الجذر : (و ، ح ، د) ..

.. وكلمة : ﴿ وَحْدَهُۥ ﴾ لم ترد في كتاب الله تعالى إلاّ متعلّقة بالله تعالى ، وبالقرآن الكريم ..

﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ ﴾ [الأعراف: ٧٠]

﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٦]

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ ﴾ [الزمر: ٤٥]

﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ ﴾ [غافر: ١١]

﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ ﴾ [غافر: ٨٤]

﴿ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة : ٤]

.. من هنا كانت كلمة ﴿ وَٰحِدٌ ﴾ كاسم فاعل ، تعني : الفرد الذي لا شريك له في المسألة الموصوفة بهذه الكلمة ، والذي لا يقبل التحوّل لصورة أُخرى مباينة لخصوصية هذا التباين والانفراد ، وذلك في إطار وصفه بكلمة ﴿ وَٰحِدٌ ﴾ ... ولذلك نرى أنَّ كلمة : ﴿ وَٰحِدٌ ﴾ تستعمل للدلالة على الفرد الذي لا يقبل التكرار ، ولا التحوّل ..

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ ﴾ [البقرة : ٦١]

﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد : ١٦]

﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [النحل : ٥١]

.. وكلمة ﴿ وَٰحِدٌ ﴾ التي تستعمل للدلالة على الفرد الذي لا يقبل التكرار ، ولا التحوّل ، تختلف كثيراً عن مشتقّات الجذر (أ ، ح ، د) ، حيث في الجذر (أ ، ح ، د) تتمُّ الإشارة إلى فرد واحد .. لكن .. يكون من مجموعة أفراد ، كلٌّ منهم يوصف بأنَّه أحد أفراد هذه المجموعة ..

﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ ﴾ [النساء : ٤٣]

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦]

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ [التوبة : ٨٤]

.. من هنا نرى عظمة الصياغة القرآنيّة للآية الكريمة : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١] .. فالله تعالى بوجوده وقيّوميّته وعلمه ، هو – ودون تحيّز – أحدُ أفراد أيِّ مجموعة وجودٍ في هذا الكون ، وذلك كونه لا يحيط به مكانٌ أو زمانٌ كباقي عناصر عالمنا الذي نعيش فيه ، وكون وجوده يحيط بكلِّ مكانٍ وزمان .. فما من اثنين إلاَّ هو أحدهما ، ولا ثلاثة إلاَّ هو أحدهما ، ولا أربعة إلاَّ هو أحدهما ، وهكذا ..... فهذه الصفة ﴿ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، لها دلالاتها الخاصّة المُختلفة كما رأينا عن صفة ﴿ ٱلْوَٰحِدُ ﴾ ..

.. وكلمة ﴿ وَٰحِدَةٍ ﴾ هي مؤنَّث كلمة (واحد) ، وتعني حالة فرديّة واحدة لا شريك معها ، والتي لا تقبل التحوّل لصورة أُخرى مباينة لخصوصية هذا التباين والانفراد في إطار المسألة الموصوفة بهذه الكلمة .. لذلك .. نرى أنَّ كلمة ﴿ وَٰحِدَةٍ ﴾ تستعمل للدلالة على الفرد الذي لا يقبل التكرار ، ولا التحوّل ..

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ﴾ [النساء : ٣]

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [المائدة : ٤٨]

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٩٢]

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ ﴾ [الفرقان : ٣٢]

﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴾ [يس : ٢٩]

﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾ [ص : ٢٣]

.. وكلمة ﴿ وَٰحِدَةٍ ﴾ التي تستعمل للدلالة على الفرد الذي لا يقبل التكرار ، ولا التحوّل ، هي الأُخرى تختلف كثيراً عن مشتقّات الجذر (أ ، ح ، د) ، حيث في الجذر (أ ، ح ، د) تتمُّ الإشارة إلى فرد واحد .. لكن .. يكون من مجموعة أفراد ، كلٌّ منهم يوصف بأنَّه أحد أفراد هذه المجموعة ..

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء : ٢٠]

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ ﴾ [التوبة : ٥٢]

﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ [فاطر : ٤٢]

.. من هنا .. يكون معنى العبارة القرآنيّة : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ، هو : خلقكم من ذاتٍ فريدة مستقلّة بكينونتها عن أيِّ مخالطة بشيءٍ آخر ، ولا تقبل التحوّل لهيئة أُخرى مختلفة ومباينة ..

.. وما نراه .. هو ورود هذه النفس الواحدة ، بصيغة نكرة موصوفة : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ .. فما هي الدلالة الكامنة خلف ذلك ؟ ..

.. كلمة : ﴿ مِّن ﴾ في العبارة القرآنيّة : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ، ليست تبعيضيّة .. بمعنى : لا تعني أنَّه هناك نفسٌ محدَّدة بعينها ، تمَّ أخذ (فصل) أجزاء منها على عدد البشر ، لخلق النفس الواحدة لكلِّ إنسان .. المسألة هي في عالم مجرَّد عن قوانين المكان والزمان .. فجميع الأنفس البشريّة ودون استثناء ، اللبنة الأولى لها ، هي من جنس هيئة واحدة ، متماثلة عند جميع البشر ، كحالة فرديّة واحدة ، لا شريك معها في انفراد كينونتها ، ولا تقبل التحوّل لصورة أُخرى مباينة لخصوصية هذا التباين والانفراد ..

.. فهذه النفس الواحدة التي هي اللبنة الأولى في بناء نفس الإنسان ، لا نملك مقدّمات – يذكرها كتاب الله تعالى لنا في ظاهر صياغته اللغويّة – عن هويّة موجودٍ سابقٍ لها مُحدَّدٍ بذاته خُلقت منه ، ولا نستطيع بأدواتنا الحسيّة في هذه الدنيا الوقوف على كنهها ، فهي ليست متعلّقةً بهويّة محدَّدة لذاتٍ محدَّدةٍ بعينها ، أو بمادّة أو هيئة سابقة معروفة محدَّدة خُلقت منها .. لذلك .. فمن الطبيعي أن ترد بصيغة النكرة ..

.. ولو جاءت بصيغة المعرفة (**خلقكم من النفس الواحدة**) ، لاقتضى ذلك وجود هذه النفس الواحدة قبل خلق الإنسان ، كذات معلومة ومحدَّدة ومستقلّة عن الإنسان ووجوده ، وأنَّه تمَّ خلق نفس واحدة من جنسها لكلِّ إنسان ، وبالتالي فهذه النفس الواحدة المفترضة الموجودة قبل خلق اللبنة الأولى للإنسان ، لا تدخل – هي بذاتها المعروفة والمحدَّدة هذه – في تركيب زوجي نفس الإنسان (نفس واحدة ، وزوجها المخلوق والمجعول منها) ، وبالتالي تكون مستقلّة في ذاتها ووجودها عنه ، وهذا ما لا وجود

لإشارةٍ له في كتاب الله تعالى .. ففي كتاب الله تعالى نرى أنَّ مفهوم النفس لم يأت إلاَّ متعلّقاً بالإنسان ومضافاً إلى الله تعالى ..

.. وكون هذه النفس المعنيّة بالعبارة القرآنيّة : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ، ذاتاً فريدة مستقلّة بكينونتها عن أيِّ مخالطة بشيءٍ آخر ، ولا تقبل التحوّل لهيئة أُخرى مختلفة ومباينة ، ومتماثلة عند جميع البشر ، ولا يُوجَد لها سابقٌ معلومٌ لجنسها .. لذلك .. نراها نكرةً موصوفة بكلمة : ﴿ وَٰحِدَةٍ ﴾ ..

.. وصيغة النكرة الموصوفة بهذه الحيثيّة من الصياغة : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ، في جميع مرّات ورودها في القرآن الكريم ، تنفي – إضافة لما بيّناه – احتمال عودة المعنى إلى شخص آدم عليه السلام ، فهناك الكثير من الآيات التي تحمل تفصيلاً في خلقه ، مما تجعله أمراً معلوماً ، لا تناسبه صيغة النكرة ..

.. إذاً .. العبارة القرآنيّة : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ، في جميع مرّات ورودها في كتاب الله تعالى ، تصوِّر لنا خلق اللبنة الأولى لكلِّ نفسٍ بشريّة .. وهذه النفس الواحدة التي خُلقت منها أنفس كلِّ البشر ، تتماثل – ودون أيِّ تباين – مع أيِّ نفسٍ أُخرى ... بمعنى : أصبح لدينا أنفس متماثلة من هذه النفس الواحدة على عدد البشر ... بمعنى : من ذات الكينونة الفريدة ، خُلقت أنفس جميع البشر ، كلٌّ واحدة منها هي صورة عن الأخرى ..

.. فالعبارة القرآنيّة ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ والتي تُخاطب جميع البشر دون استثناء ، تُبيِّن أنَّ النفس الواحدة هي العنصر الأوَّل في التكوين النفسي لأيِّ إنسان .. بمعنى : أنَّ اللبنة الأولى في وجوده النفسي (وبالتالي في وجوده) هي هذه النفس الواحدة .. ولذلك .. نرى أنَّ خلْقَ هذه النفس الواحدة ، يأتي به الله تعالى تشبيهاً لبيان قدرته جلّ وعلا المطلقة ، بأنَّ خلْقَ الناس جميعاً وبعْثَهم ، لا يختلف – عند الله تعالى وبالنسبة

لقدرته – عن خلق اللبنة الأولى للإنسان ، وهو هذه النفس الواحدة ، المتماثلة عند جميع البشر ..

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان : ٢٨]

.. فخلْق البشر كلّهم وبعْثهم ، هو عند الله تعالى لا يكلّفه جهداً ، ولا يختلف بالنسبة له ولقدرته ، عن خلق اللبنة الأولى في الكيان النفسي للإنسان ، وهو النفس الواحدة .. فالتشبيه أتى به الله تعالى متعلِّقاً بخلق اللبنة الأولى للإنسان ، والمتماثلة عند جميع البشر المخاطبين بهذا البيان القرآني في كلِّ زمانٍ ومكان ، لبيان عظمة قدرة الله تعالى ..

.. ولو جاءت هذه الآية الكريمة بالصيغة : ((**وما خلقكم ولا بعثكم إلاّ كنفس أحدكم إنَّ الله سميع بصير**)) ، لكانت كلمة نفس في هذه الحالة المفترضة ((**كنفس أحدكم**)) ، تشمل النفس الكاملة (النفس الواحدة ، وزوجها) ، وليست مخصَّصة باللبنة الأولى وهي النفس الواحدة ، وهذا أضعف في تبيان قدرة الله تعالى ، فالتشبيه بما هو أقل وأبسط ، والمقارنة به في السهولة ، أبلغ في بيان قدرة الله تعالى ..

.. وهذا الذي رأيناه من دلالات كلمة : ﴿ وَٰحِدَةٍ ﴾ في العبارة القرآنيّة : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ، يتبيّن معنا أيضاً في دلالات السياق التالي لهذه العبارة القرآنيّة ..

.. فالعبارات التالية لهذه العبارة ، هي : [[﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ،، ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ،، ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾]] ، ويعود الضمير في كلمة ﴿ زَوْجَهَا ﴾ إلى النفس الواحدة لكلِّ فردٍ من أفراد البشر .. وليس من المعقول أن يُخْلَقَ زوجٌ واحدٌ لأنفس جميع البشر .. من هنا نرى أنَّ العبارة القرآنيّة ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ تعني : بدأ خلقكم أيها البشر بعنصر النفس الواحدة ، بحيث يكون عنصر النفس الواحدة هو ذاته عند الجميع ، كلُّ نفس عنصرها الأوَّل الذي هو النفس الواحدة متماثلٌ مع عنصر النفس الواحدة عند باقي البشر ..

.. إذاً .. العبارة القرآنيّة ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ تبيِّن لنا أنَّه لكلِّ نفسٍ من نفوسنا نفسٌ واحدة ، هي ذاتها عند باقي الأنفس البشريّة .. بمعنى : هناك صور متماثلة من النفس الواحدة على عدد البشر ، كلُّ واحدة منها هي لفرد من هؤلاء البشر ..

.. وهذه النفس الواحدة مجرَّدة بماهيّتها عن الذكورة والأنوثة ، فكلُّ البشر ذكوراً كانوا أم إناثاً ، تتماثل أنفسهم بعنصر النفس الواحدة ، كون الخطاب الإلهي : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ، موجَّهاً لكلِّ البشر ذكوراً كانوا أم إناثاً .. فالنفس الواحدة المتماثلة عند جميع البشر دون استثناء ، مجرّدة تماماً عن مسألة الذكورة والأنوثة ..

.. إذاً .. العبارة ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ في النصوص التالية :

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [النساء : ١]

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٩ - ١٩٠]

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [الزمر : ٦]

.. تخاطب جميع البشر ، بأنَّ أصل أنفسهم هو من نفسٍ واحدة ، وذلك لكلٍّ منهم .. والعبارات القرآنيّة التالية لها مباشرة : [[﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ،، ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ،، ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾]] ، تبيّن خلْق (وجعْل) زوج هذه النفس الواحدة منها .. فالضمير في كلمة : ﴿ مِنْهَا ﴾ في هذه العبارات القرآنيّة ، يعود إلى النفس الواحدة لكلِّ إنسان .. وهنا في زوج النفس الواحدة المخلوق (والمجعول) منها ، نرى صيغة تعريف الإضافة : ﴿ زَوْجَهَا ﴾ ... فلكلِّ نفسٍ واحدةٍ لكلِّ إنسان زوجُها المخلوق (والمجعول) منها ..

.. بيّنا أنَّ كلمة ﴿ مِّن ﴾ في العبارة : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ، ليست تبعيضيّة ، وأنَّ كلَّ الأنفس الواحدة خُلقَت سويّة ، من جنس هيئةٍ واحدة ، متماثلة عند جميع

البشر ، كحالة فرديّة واحدة ، لا شريك معها في انفراد كينونتها ، ولا تقبل التحوّل لصورة أُخرى مباينة لخصوصية هذا التباين والانفراد .. فالنفس الواحدة التي هي صور متماثلة تماماً على عدد البشر ، كل صورة منها لكلِّ إنسان تُسمّى ﴿ نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ، كونها مماثلة تماماً لنظيرتها عند باقي البشر .. الآن .. من هذه النفس الواحدة لكلِّ إنسان ، خلق (وجعل) الله تعالى منها ﴿ زَوْجَهَا ﴾ .. فكلُّ إنسان مرَّ خلْق نفسه بمرحلة أولى ، هي النفس الواحدة المتماثلة تماماً عند كلِّ البشر .. بعد ذلك .. تمَّ خلْق (وجعْل) زوج لهذه النفس الواحدة لكلِّ إنسان ، ومنها ..

.. وأيضاً هنا في قوله تعالى : [[﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ،، ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ،، ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾]] ، نرى أنَّ كلمة (مِن) في كلمة ﴿ مِنْهَا ﴾ ليست تبعيضيّة .. فلا يمكن سحب المعنى باتّجاه أنَّه تمَّ أخذ (فصل) جزء من النفس الواحدة ، كمادَّة يتمُّ منها خلق زوجها .. أبداً .. فمن جهة ، رأينا أنَّ النفس الواحدة هي حالة فرديّة واحدة ، لا شريك معها في انفراد كينونتها ، ولا تقبل التحوّل لصورة أُخرى مباينة لخصوصية هذا التباين والانفراد ، ومن جهةٍ أُخرى هذه المرحلة خلق (وجعل) زوج النفس الواحدة ، هو في عالم الأنفس غير الخاضع لقوانين المكان والزمان ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء : ١]

﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٩]

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [الزمر : ٦]

.. إذاً .. قوله تعالى ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ يعني : تمَّ خلق صور متماثلة من هيئة واحدة على عدد أنفس البشر ، من آدم عليه السلام إلى قيام الساعة ..

وكلُّ نفسٍ من هذه الأنفس الواحدة المتماثلة والتي هي صورة مماثلة لغيرها عند باقي البشر ، من جنسها خُلِق (وَجُعِل) زوجها ..

.. وهنا – بهذا الزوج للنفس الواحدة – تمَّ تمايز أنفس البشر عن بعضها بعضاً .. حيث يبدأ تكوين الهويّة الخاصّة لكلِّ إنسان ، بخلق هذا الزوج من النفس الواحدة ، ليكتمل تمايز هذه الهويّة النفسيّة بنهاية مرحلة الجعل .. ففي قوله تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٩ – ١٩٠]

.. حيث الآية الوحيدة في كتاب الله تعالى التي تُبيِّن (كما سنرى) علاقة النفس الواحدة بزوجها ، وتحمل تفصيلاً في ذلك ، نرى أنَّ هوية الإنسان في حمله للأوزار ، وفي تفاعل النفس مع عناصر الحياة ، تعود إلى عنصر زوج النفس الواحدة ، الذي يتغشّى النفس الواحدة ، فتحمل مراده وتسير معه في ذلك ، وأنَّ النفس الواحدة هي الوعاء الذي يسكب فيه زوجها مراده .. فهويّة الإنسان التي يترجمها في حياته الدنيا بمراده المُعبِّر عن هذه الهويّة ، تتعلَّق بزوج النفس الواحدة .. وسنقف – إن شاء الله تعالى – عند هذه الآية الكريمة بالتفصيل ..

.. وكما هو معلوم في كتاب الله تعالى ، أنَّ الجعل مرحلة لاحقة على الخلق ..

.. في عالمنا الحسّي الخاضع للمكان والزمان ، نرى أنَّ خلق الذكورة والأنوثة يكون فور تلقيح الحيوان الذكري للبويضة الأنثويّة لتشكيل النطفة :

﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ [النجم : ٤٥ – ٤٦]

.. فالآية الكريمة : ﴿ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ ، تعني حين تمنى ، بمعنى حين اجتماع الحيوان الذكري مع البويضة الأنثويّة لتكوين النطفة .. فخلق الذكورة والأنوثة ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ﴾ ، يكون في لحظة التلقيح ..

.. بينما جعل الذكورة والأنوثة ، بمعنى تمايزها وتبيانها ، يكون في مرحلة لاحقة من مراحل نمو الجنين داخل رحم أمّه :

﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾ [القيامة : ٣٧ - ٣٩]

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ ..... ﴾ [فاطر : ١١]

.. فالجعل هو مرحلة لاحقة على الخلق ، سواء كان ذلك في عالم الخلق المحسوس الخاضع للزمان والمكان ، أم في العالم غير المحسوس ، غير الخاضع للزمان والمكان ..

.. وهنا في مرحلة خلق الزوج وجعله من النفس الواحدة ، وجعله زوجاً للنفس الواحدة الخاصّة لكلِّ إنسان ، حصلنا على زوجيّة نفسيّة لكلِّ شخص ، العنصر الأوَّل فيها هو النفس الواحدة حيث تتماثل - بهذا العنصر - أنفس جميع البشر دون استثناء ، والعنصر الثاني هو زوج هذه النفس والذي يميّزها عن باقي الأنفس .. وباجتماع هذين العنصرين تتكوّن نفس الإنسان كهويّة تميّزه عن باقي البشر ..

.. وما نراه في سورة الزمر ، أنَّ الفصل بين الخلق من نفس واحدة ، وبين جعل زوجها منها ، جاء بورود كلمة : ﴿ ثُمَّ ﴾ ..

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [الزمر : ٦]

.. وورود هذه الكلمة ﴿ ثُمَّ ﴾ في هذه الآية الكريمة ، حيث تفيد التريّث والتراخي (((ليس تراخياً زمنيّاً ، فهذه الحالة هي في عالم الأنفس))) ، وتُبْعِد احتمال المباشرة الفوريّة ما بين هاتين المرحلتين ، هذا الورود ﴿ ثُمَّ ﴾ ، يُفسِّر دلالة حرف العطف (وَ) في سورة الأعراف ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ، حيث حرف العطف (وَ) يحتمل هذا ، إضافة لبيان الترتيب والانتقال لمرحلة جديدة .. فما بين الخلق من نفسٍ واحدة ، وانتهاء مرحلة جعل زوجها منها ، تريّث حصل فيه اكتمال جعل الزوج كهويّة مستقلّة للإنسان ..

.. وهذا يُشابه ورود كلمة ﴿ ثُمَّ ﴾ الثانية في الآية الكريمة : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ..... ﴾ [فاطر : ١١] ، حيث التراخي هنا هو نتيجة مراحل تبيّنها الآيات الكريمة ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾ [القيامة : ٣٧ - ٣٩] .. فكلمة ﴿ ثُمَّ ﴾ في العبارة : ﴿ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ ، تفيد تراخياً ما بين مرحلة تكوين النطفة وجعل الأزواج ، وهذا ما نراه في سورة القيامة ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ ..

.. إذاً .. ورود كلمة ﴿ ثُمَّ ﴾ في سورة الزمر : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ، يُفسِّر دلالة حرف العطف (وَ) في كلمة ﴿ وَجَعَلَ ﴾ في سورة الأعراف ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ، بأنَّه ما بين خلق النفس والواحدة واكتمال جعل زوجها منها ، هناك تريّثٌ بعيد عن المباشرة الفوريّة ، حصل فيه اكتمال جعل الزوج كهويّة مستقلّة للإنسان ، بدأ بخلق زوج النفس الواحدة من جنسها ، واكتمل بجعله من جنسها ..

.. وما نراه أنَّ نهاية المرحلتين : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ انتهت قبل المرحلة المصوَّرة بالعبارة القرآنيّة : ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾

.. وبعد ذلك تمَّ انتقالنا إلى عالم الجسد : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ﴾ .. وما نراه ، أنَّ كلَّ صيغ الخطاب في هذه الآية الكريمة : [[﴿ خَلَقَكُم ﴾ ،، ﴿ وَأَنزَلَ لَكُمْ ﴾ ،، ﴿ يَخْلُقُكُمْ ﴾ ،، ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾ ،، ﴿ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾]] تُخاطب كلَّ المتلقّين لخطاب الله تعالى دون استثناء .. كلُّ ذلك – إضافة لما سبق وسيأتي من أدلّة – يؤكِّد ما نذهب إليه ، بأنَّ مرحلة خلق النفس الواحدة اكتملت لكلِّ البشر ، ومن ثمّ بدأت مرحلة خلق (وجعل) زوجها منها ، وأيضا لكلِّ البشر ..

.. وكون زوج النفس الواحدة تمَّ خلقه وجعله من جنس هذه النفس الواحدة ، فإنَّ اجتماع هذين العنصرين (النفس الواحدة ، وزوجها) في إطار هويّة نفس الإنسان ، هو عملية إنشاء لهذه النفس ، وذلك من أساسٍ هو النفس الواحدة ..

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام : ٩٨]

.. كلمة ﴿ أَنشَأَكُم ﴾ تخاطب جميع البشر دون استثناء ، وهذا الإنشاء هو في أصله من نفسٍ واحدة كما رأينا ، وكينونة هذا الإنشاء ونتيجته ، أنَّه مستقرٌّ ومستودعٌ في الوقت ذاته .. بمعنى : النفس التي أنشأها الله تعالى من هذين العنصرين : النفس الواحدة ، وزوجها ، كينونتها بعد الإنشاء هي زوجا المستقر والمستودع ..

.. فكلمة ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ ﴾ هي من الجذر (ق ، ر ، ر) ، ودلالاته تدور في إطار الثبات والسكون والهدوء ومنتهى الأمر .. وكلمة ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ ﴾ هي اسم مكان أو

مصدر ميمي بمعنى الاستقرار .. وهي تصف النفس الواحدة التي هي أحد عنصري النفس كما رأينا ، فالنفس الواحدة التي هي بمثابة الكينونة الثابتة التي تتماثل بها أنفس جميع البشر ، هي عنصر الثبات والسكون في النفس البشريّة ..

.. وكلمة ﴿ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ هي من الجذر (و ، د ، ع) ودلالاته تدور في إطار الترك والإعراض والتخلف عن الشيء ..

﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٤٨]

﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ [الضحى : ٣]

.. وهذه الكلمة ﴿ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ هي اسم مكان من استودع ..

.. ولذلك .. كلُّ دابّة تتحرّك ، يعلم الله تعالى في كلِّ لحظة ، مكان ثباتها واستقرارها ﴿ مُسْتَقَرَّهَا ﴾ ، ومكان حركتها وتركها وهجرانها لهذا الاستقرار ﴿ وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ ﴾ ..

﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود : ٦]

.. هنا في مسألة وصف علم الله تعالى لحال كلِّ دابّة تتحرَّك على الأرض ، نرى أنَّ حال ثباتها واستقرارها وُصف بكلمة ﴿ مُسْتَقَرَّهَا ﴾ ، حيث يُضاف المُستقرُّ المعنيُّ لها ، في إطار مسألة تتعلَّق بعلم الله تعالى ، وأنَّ حال حركتها وُصف بكلمة ﴿ وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ ﴾ حيث يُضاف المُستودعُ المعنيُّ لها ، في إطار مسألة تتعلَّق بعلم الله تعالى .. وهذه الصيغة تختلف كثيراً عن صيغة قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ ، حيث المستقرُّ والمستودع هنا ، هما زوجا إنشاء النفس الواحدة ، وعنصراها ، ككينونة تتكوَّن منها هذه النفس ، نتيجة لإنشائها .. بمعنى : الإنشاء من

اجتماع عنصر النفس الواحدة مع زوجها المخلوق والمجعول من جنسها ، كينونته أنَّه مُستقرٌّ ومستودعٌ في الوقت ذاته .. بمعنى : كينونته من اجتماع زوجيّة المستقرّ مع المستودع ..

.. إذاً .. قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام : ٩٨]

.. يعني : أنَّ الله تعالى هو الذي أنشأ النفس البشريّة لكلِّ البشر ، وماهيّة إنشائها هو مزاوجة بين النفس الواحدة التي هي عنصر الثبات والاستقرار ، والذي تتماثل به أنفس كلِّ البشر ، مع زوج هذه النفس المخلوق والمجعول منها والذي هو عنصر التحوَّل والترك والابتعاد عن العنصر الثابت باتّجاه الدنيّا والتفاعل معها ، حيث تختلف أنفس البشر عن بعضها بهذا العنصر الذي يُعطي النفس البشريّة هويّتها التي تميِّزها عن غيرها من الأنفس الأُخرى .. فمن هذه الزوجيّة تمَّ تركيب النفس البشريّة (إنشاؤها) ..

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ ﴾ [الأنعام : ٩٨]

.. وبإنشاء هذه النفس عبر تزاوج زوج النفس (الأنا) وهويّة الإنسان (صورته) ، مع النفس الواحدة ، لتكوين النفس ، تكون النفس – بذلك – قد تمّت تسويتها ، واستقلّت هويّتها ، وتأرجحت ماهيّتها بين شاطئي الفجور والتقوى ، اللذين أصبحا بين يديها ، وبإمكانها سلوك أيٍّ منهما ..

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [الشمس : ٧ – ٨]

.. لتبدأ بعد ذلك رحلة امتحان الحياة الدنيا ، وإبحار الإنسان فيها بين شاطئين متناقضين تماماً ، حسب مراد النفس وقوّة عزيمتها ..

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس : ٩ – ١٠]

.. الآن .. النصوص الكريمة التالية ، ترسم صورة مرحلة جديدة ، تكون بعد خلق النفس الواحدة ، ومرافقة كبداية في عالم النفس لخلق (وجعل) زوجها منها ، ولاحقة بخلق أجسادٍ موائمةٍ لذلك في عالم الدنيا ..

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [النحل : ٧٢]

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم : ٢١]

﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١]

.. هنا العبارتان : [[﴿ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ ،، ﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾]] ، تُخاطبان كلَّ البشر (ذكوراً كانوا أم إناثاً) الموجودين في هذا العالم ، برسم صورة مرحلة خلق (وجعل) أصل أزواج البشر (ذكورة وأنوثة) من أنفسهم ، وذلك بتعلّق صيغة الخلق المعنيّة للمخاطبين بالنفس : ﴿ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ .. فالخلق المعني للمخاطبين : ﴿ لَكُم ﴾ ، هو من ذوات أنفسهم : ﴿ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ .. وكلُّ ذلك في سياقٍ قرآنيٍّ لا إشارة فيه (في العبارات السابقة) لعالم الجسد ..

.. بمعنى : خُلقت (وجُعلت) للأنفس (النفس الواحدة ، وزوجها) مسألةُ زوجيّة الذكورة والأنوثة من ذاتها وجنسها ، بحيث يكون الإنسان بشكلٍ عام إمّا من جنس الذكور حيث الزوج المُقابل هو جنس الإناث ، وإمّا من جنس الإناث حيث يكون الزوج المقابل هو جنس الذكور .. فمن ذات النفس جُعلت الذكورة والأنوثة ..

.. وليس المعنى أنَّ الذكر المحدَّد بعينه ، خُلقت منه زوجته أمّ أولاده من نفسه هو بالذات .. أبداً .. أصل هويّة الذكورة والأنوثة في عالم الأنفس ، حيث تُخلَق أوَّلاً بخلق زوج النفس الواحدة منها كما سنرى في سورة النساء ، ثمّ تكتمل بجعلها ، كما هو في سورتي الأعراف والزمر .. وبعد ذلك .. تُخلق الأجساد الموائمة لذلك في عالم الدنيا ، وذلك كمواءمة مقابلة لخلقها في عالم الأنفس (في سورة النساء) ، ثمَّ تكتمل جعلاً كمواءمة لجعلها في عالم الأنفس (في سورتي الأعراف والزمر) ..

.. فصياغة العبارتين القرآنيَّتين : [[﴿ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ ،، ﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾]] ، وسياقهما السابق لهما ، مختلفٌ تماماً عن صياغة العبارة : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ..... ﴾ [فاطر : ١١] ..

.. خلاصة القول في هذه الآيات الكريمة : أنَّ صياغتها اللغويّة تفرز هويّة جميع البشر – في عالم الأنفس كما سنرى – ما بين صنفين اثنين ، هما حالتا الذكورة والأنوثة .. وبعد ذلك .. تتمّ مواءمة لكلِّ نفس (من الذكور كانت أم من الإناث) عبر جسدٍ مادّي يُخلق لأجلها في هذه الدنيا ، حيث جعل الله تعالى لنا من هذه الزوجيّة (الذكورة والأنوثة) سكناً ، وجعل بينها مودّة ورحمة ، وجعل منهما بنين وحفدة :

[[﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ ،، ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾]] ..

.. وهذا الجعل للأزواج من أنفسنا ، في ناموسه يتمُّ خلقنا وتكاثرنا وبثّنا في هذه الحياة الدنيا : ﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ﴾ ..

فالعبارة : ﴿ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ﴾ تعني : يخلقكم ويبثّكم في هذه الحياة الدنيا ، من خلال ناموس الزوجيّة (الذكورة والأنوثة) ، عبر تزاوجكم وإنجاب البنين والحفدة : ﴿ وَٱللَّهُ

﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ .. وهذا يوازي تكاثر الأنعام التي خُلقت أيضاً من أزواج ، من خلالها يتمّ التكاثر : ﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ﴾ ..

.. الرجال والنساء ، نفسُ كلٍّ واحدٍ منهم مكوَّنة من هذين العنصرين (النفس الواحدة ، وزوجها) .. ومن هذه الزوجيّة المُنشأة من هذين العنصرين ، تمَّ جعل الزوجيّة (ذكورة وأنوثة) كجزءٍ من الهويّة في عالم النفس .. وبعد ذلك .. من خلال خلق أجساد موائمة لهذه الذكورة والأنوثة ، يتمُّ تكاثر البشر وبثّهم في هذه الحياة الدنيا .. وهذا ما يُصوِّره قوله تعالى ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١]

.. وهنا سنخرج قليلاً عن سياق البحث ، لنجيب على استفسارٍ محتمل هو : مادام الأمر يتعلَّق ببثّ الذكورة والأنوثة في عالمنا ، فلماذا لا نرى في هذا النصِّ الجنس الثالث وهو الخنثى كما يسمّونه ؟ .. ألا تتمّ ولادات كهذه الحالة ؟ .. فلماذا لم تُذكَر ؟ ..

.. لقد بيّنت في بحث : (**أو يزوّجهم ذكراناً وإناثاً**) ، أنَّ العبارة القرآنيّة : ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ﴾ في قوله تعالى ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى : ٤٩ – ٥٠] ، تبدأ بكلمة ﴿ أَوْ ﴾ لتبيّن لنا أنَّ الحالة المعنيّة هنا ، هي المقابل والبديل للحالة الطبيعيّة المُصوَّرة في الآية السابقة ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ ، وأنَّها حالة مزاوجة بين الذكورة والأنوثة كصفات ذكريّة وأنثويّة في ذات جسد المولود ،

وكبديل للحالتين المذكورتين في العبارتين السابقتين ، نتيجة وجود جينات (محمولة بالكروموسومات) مشوّهة غير قادرة على التمايز الطبيعي للأعضاء الجنسيّة للجنين ، أو وجود خلل هرموني نتيجة حمل الأم وما تتناوله من غذاء ودواء ، فتحدث عيوب في سير مرحلة تمايز الأعضاء الجنسيّة للجنين ، فتختلط الذكورة بالأنوثة ، وتكون هناك حالات (نادرة) يُجمع فيها جهازا الذكورة والأنوثة معاً ، كوجود مبيض وخصية في ذات المولود ، وكوجود أعضاء تناسلية ظاهرة لكلا الجنسين ، فيكون هناك اختلاط لدى المولود – الذي يمثل هذه الحالة – ما بين الأعضاء التناسلية الذكرية والأنثوية .. وما يؤكّد ذلك هو ورود كلمة ﴿ ذُكْرَانًا ﴾ دون كلمة ﴿ ٱلذُّكُورَ ﴾ .. فحالات الخنثى ليست نتيجة لكونها حالة طبيعيّة محمولة بهويّة النفس في عالم الأنفس ، إنّما نتيجة خلل هرموني أو جيني ناتج عن عالم الجسد ..

وما نراه في قوله تعالى :

﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى : ٤٩ – ٥٠]

.. أنَّ العقم جاء بصيغة الجعل ومتعلّقاً بالمشيئة : ﴿ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ ﴾ ، وهذا ناتج عن كونه يتناول الزوجين الرجل والمرأة ، ويتناول الجنين أيضاً ، فاحتمالات العقم واردة في كلِّ المراحل ، ابتداء من تكوّن النطفة حتى على كامل مراحل حياة الإنسان بعد ولادته .. وكلُّ أسباب العقم مهما كانت لا تخرج عن عالمنا المادّي .. بمعنى : العقم والخنثى ليسا جنساً يتمُّ تحديده في عالم الأنفس ، وذلك نراه بورود كلمة ﴿ أَوْ ﴾ لحالة الخنثى ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ ﴾ كبديل عن الأنوثة والذكورة نتيجة خلل في عالم الجسد ، ونراه بصيغة الجعل والتعلّق بالمشيئة في حالة العقم ﴿ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ ﴾ ..

.. بينما في مسألة الذكورة والأنوثة نرى صيغة الهبة متعلّقة بالمشيئة ، ومكرَّرة مرّة للأنوثة ، ومرّة للذكورة : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ .. وفي ذلك إشارة إلى أنَّ أصل الذكورة والأنوثة هو في الماهيّة النفسيّة قبل خلق الجسد ، وهذا ما نراه في كلمة يهب التي تتكرَّر للذكورة والأنوثة : [[﴿ يَهَبُ ﴾ ،، ﴿ وَيَهَبُ ﴾]] .. وبعد ذلك يتمُّ خلْق جسد موائم لذلك ، حيث تشير إلى ذلك كلمة يشاء والتي تتكرَّر أيضاً للذكورة والأنوثة : [[﴿ يَشَآءُ إِنَٰثًا ﴾ ،، ﴿ يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾]] ..

.. في كتاب الله تعالى وبالنظر إلى مشتقّات الجذر (و ، هـــ ، ب) نرى أنَّ الهبة هي : العَطِيَّة الخالية عن الأَعْواضِ والأَغْراض .. ودلالة ما يهبه الله تعالى من الإناث وكذلك الذكور للوالدين ، تتعلَّق بمرحلة ما قبل خلق الأجساد الموائمة للإناث والذكور .. وما يؤكد ذلك هو قوله تعالى :

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء : ٩٠]

.. فالعبارة ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ ﴾ تصوِّر – دون أدنى شكّ – مرحلة سابقة على المرحلة المصوَّرة بالعبارة التالية لها ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾ .. وإصلاح زوج زكريا عليه السلام ، هو مقدِّمة تسبق حمل زوجه بيحيى .. من هنا نرى أنَّ الصيغة ﴿ وَوَهَبْنَا ﴾ تعني : صدور القرار الإلهي بمنح يحيى لزكريا ، وذلك قبل حمله في رحم أمّه .. فيحيى هو ذاته بهويّته التي تميّزه (والتي منها صفة الذكورة) ، تمَّ وهبه لزكريا ، قبل لقاء زكريا بزوجه ، حيث حملت بيحيى ..

.. من هنا نرى عظمة الصياغة القرآنيّة : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ ، فمنح الإناث والذكور بهويتهما الجنسيّة هذه ، هو قبل خلق الأجساد الموائمة لذلك ، وبعد ذلك وفي عالم المشيئة يتمّ خلق الأجساد الموائمة للإناث والذكور ..

.. إذاً .. عدم ورود حالة الخنثى في الآية الأولى من سورة النساء (مع أنّها حالة موجودة في عالم الجسد) ، يؤكّد أنّ أصل الذكورة والأنوثة هو في عالم الأنفس حيث ذكورة وأنوثة فقط ، وما يتمُّ في عالم الجسد هو مواءمة لهذه الذكورة والأنوثة بأجساد ماديّة في عالمنا .. وحالة الخنثى مردُّها يعود إلى خلل في عالمنا المادّي هذا ، ممّا يُنتج حالة الخنثى كما بيّنا ..

.. لنعد إلى الآية الكريمة ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١]

.. العبارة القرآنيّة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾ تُخاطب البشريّة في كلِّ زمانٍ ومكان ، كلُّ جيلٍ يتلقّى هذا الخطاب ما دام موجوداً في الحياة الدنيا ، بأن يتّقوا ربَّهم جلَّ وعلا .. والعبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ، نرى صيغتها مطابقة تماماً لها في الآيتين الواردتين في سورتي الأعراف والزمر : [[﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ،، ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾]] ، فهي ترسم صورة ذات المرحلة في تلك الآيتين الكريمتين ، لتُبيّن فضل الله تعالى على هؤلاء الناس ، بأنّه هو من أوجدهم ، حيث العنصر الأوّل في وجودهم هو النفس الواحدة ، فكلٌّ منهم بدأ وجوده بالنفس الواحدة كما رأينا ..

.. وفي العبارة القرآنيّة ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ يعود الضمير في كلمة ﴿ زَوْجَهَا ﴾ إلى النفس الواحدة لكلِّ إنسان ، حيث هذه العبارة ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ تُبيّن المرحلة الثانية ، وهي خلق زوج كلِّ نفسٍ واحدة لكلِّ إنسان ، من جنسها كما بيّنا ..

.. وفي هذه الآية الكريمة .. نرى صيغة الخلق لزوج النفس الواحدة : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ دون صيغة الجعْل كما هو حال النصّين الآخرين ، لتكتمل من جهة ، الصورة في بيان مرحلتي إيجاد زوج النفس الواحدة في عالم الأنفس ، وهما : مرحلة الخلق أوّلاً (في سورة النساء) ، والجعل ثانياً (في سورتي الأعراف والزمر) .. ولبيان حقيقة مفادها أنَّ الأنوثة والذكورة كهويّة نفسيّة تتعلَّق بصورة النفس ، بدأت مع خلق زوج النفس الواحدة ، لتكتمل بمرحلة الجعل من جهةٍ أُخرى ..

.. فزوج النفس الواحدة الذي خُلق منها ، ثُمَّ جُعل منها ، يحمل هويّة الإنسان ، بما في ذلك الذكورة والأنوثة ، حيث بدأت هويّة الذكورة والأنوثة بخلق زوج النفس الواحدة ، وتمايزت واكتملت بنهاية مرحلة جعل زوج النفس الواحدة .. هذا كلُّه في عالم النفس قبل وجود الجسد .. بعد ذلك ومن هذه الثنائيّة (النفس الواحدة ، وزوجها المخلوق منها) ، تتمُّ في عالم الدنيا مواءمة أجساد لهذه الثنائية ، حيث يتمُّ بثّ الرجال والنساء ، الذين كلُّ واحدٍ منهم يتكوَّن من هويّة نفسيّة تحمل الذكورة أو الأنوثة (الموهوبة في عالم الأنفس قل خلق الأجساد) ، ومن جسدٍ موائمٍ لهذه الذكورة والأنوثة يتمُّ خلقه في عالمنا المادّي هذا ..

.. لو أمعنا النظر في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ ، لرأينا أنَّ العبارة القرآنيّة : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ، ترد بصيغة مطابقة تماماً لورودها في سورتي الأعراف والزمر ، وتذكِّر هؤلاء الناس المُطالَبين بتقوى الله تعالى ، بأنَّ اللبنة الأولى في وجودهم هي

النفس الواحدة التي يتماثلون جميعاً بها كما رأينا .. وحرف العطف (وَ) في بداية العبارة التالية لها ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ، ينقلنا لمرحلة جديدة ، لكن دون أن نخرج من عالم النفس غير الحسّي ..

.. فالضميران في كلمتي : ﴿ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ، يتعلّقان بالنفس الواحدة ، وليس بأيٍّ أمرٍ آخر ، وهذا يؤكّد أنَّ العبارة القرآنيّة ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ تصوِّر لنا مرحلة جديدة تالية لخلق النفس الواحدة لجميع البشر ، ولكن دون أن يخرج التصوير الدلالي من عالم النفس .. ويتأكّد معنا ذلك بالوقوف عند النقاط التالية :

١ – صيغة الخلق ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ دون الجعل ، ليست دليلاً على أنّنا انتقلنا بهذه العبارة إلى عالم الأجساد .. أبداً .. فاللبنة الأولى للإنسان خُلقت من نفسٍ واحدة كما تؤكّد العبارة السابقة لها مباشرة ، والأنفس جاءت بصيغة الخلق ..

﴿ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الكهف : ٥١]

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ [الأعراف : ١١]

.. فصيغة الخلق دون الجعل في العبارة القرآنيّة ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ليست دليلاً على أنّنا انتقلنا بها إلى عالم الأجساد ..

٢ – العبارة ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ والتي تصوِّر خلق اللبنة الأولى لجميع البشر من نفس واحدة كما رأينا ، لا يمكن أن تعني خلقاً لأنفس البشر من نفس آدم ، لأنَّ آدم ذاته حتى مرحلة التصوير الدلالي لهذه العبارة القرآنيّة ، لم يكن موجوداً كهويّة نفسيّة تميّزه (لم يكن زوج نفسه الواحدة قد خُلق منها) ، ففي العبارة : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ لم يخرج التصوير الإلهي من نهاية مرحلة خلق العنصر الأوَّل في تكوين النفس

البشريّة وهو النفس الواحدة ، والعطف في العبارة التالية لها : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ هو عطف على هذا العنصر الأوَّل ، ولا يمكن أن يكون عطفاً على نفسٍ كاملة ، إلاَّ في حال سحب دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ في سورة النساء ، باتّجاهٍ مخالفٍ تماماً لدلالاتها هي ذاتها في سورتي الأعراف والزمر ، وهذا خروجٌ على منهجيّة البحث السليم في كتاب الله تعالى ..

٣ – القول بأنَّه هناك مرحلة مُفترضة مُقدَّرة خلف هذه العبارة ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ، مفادها : خلق جسد آدم من مواءمته لنفسه الواحدة (التي هي حسب الموروث نفس كاملة) ، لتأتي العبارة التالية لها ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ لتصوِّر خلق جسد حواء من ذلك الجسد .. هذا التصوُّر مبنيٌّ على فرض مفاده : أنَّ النفس الواحدة هنا هي نفس كاملة (نفس واحدة ، وزوجها) ، وعلى فرض مرحلة وسطى يتمُّ فيها الانتقال من عالم النفس إلى عالم الجسد ، ما بين هاتين العبارتين القرآنيّتين المتتاليتين ، دون أيِّ إشارة لذلك لا من قريب ولا من بعيد ، وعلى ربط الضميرين في العبارة : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ بهذه المرحلة المُفترضة .. وهذا لا يجوز لغة ومنطقاً على الإطلاق ..

.. إذاً .. العبارتان القرآنيّتان المتتاليتان : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ، تبيّنان لنا المرحلة الأولى والثانية من مراحل إنشاء النفس ..

.. الآن .. حرف العطف (وَ) في العبارة القرآنيّة التالية للعبارتين السابقتين مباشرة : ﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ ينقلنا لمرحلة أُخرى .. لكن هذه المرحلة الجديدة نهايتها في عالم الدنيا ، حيث الرجال والنساء هما كلمتان في هذه العبارة القرآنيّة تشيران إلى ذلك ..

.. فمن النفس الواحدة ، وزوجها المخلوق منها (حيث الهويّة الخاصّة التي تشمل فيما تشمل تمايز صفة الأنوثة والذكورة الخاصّة بكل إنسان ، وحيث صفة الذكورة والأنوثة بدأت بخلق زوج النفس الواحدة) ، من هذه الزوجيّة (النفس واحدة ، وزوجها المخلوق منها) تمَّ نزول جميع البشر ذكوراً كانوا أم إناثاً في أجساد بشريّة ، كلٌّ منها يحوي نفساً مكوّنة من هذين الزوجين .. فسواءٌ الرجال أم النساء ، كلٌّ منهم ، جسدُه يحوي نفساً مكوَّنةً من زوجي النفس (نفس واحدة ، وزوجها) كما رأينا ..

.. والمرحلتان : الخلق من النفس الواحدة ، وخلق (وجعل) زوج هذه النفس منها ، ذلك الزوج الذي يُعطي الهويّة الخاصّة لكلِّ نفسٍ بشريّة (بمعنى صورتها الخاصّة بها والتي تميّزها عن باقي النفوس) كما رأينا .. هاتان المرحلتان .. تمّتا قبل خلق الجسد الأوَّل (جسد آدم عليه السلام) ..

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الأعراف : ١١]

.. فكلمة ﴿ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ تقابل الخلق من نفسٍ واحدة .. وكلمة ﴿ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ تقابل خلق زوج النفس الواحدة وجعله ، حيث تبدأ صورة الإنسان وهويّته المميَّزة بخلق زوج النفس الواحدة ، وتنتهي بجعله .. وكلُّ ذلك تمَّ قبل خلق جسد آدم ، لأنَّ العبارة القرآنيّة ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ ، تصوِّر مرحلة الأمر الإلهي للملائكة بالسجود لآدم ، ذلك الأمر الذي كان قبل خلق جسد آدم ..

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٢٩]

.. الأمر الإلهي للملائكة بالسجود لآدم ، كان قبل خلق جسده ..... فالآية الكريمة : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ تعني : حينما يكتمل خلق آدم إنساناً كاملاً نفساً وجسداً ، وبعد نفخ الروح فيه ، اسجدوا له ..

.. إذاً .. زوج النفس الواحدة ، المخلوق والمجعول منها ، هو الهويّة الخاصّة لكلِّ إنسان ، والتي تميّزه عن غيره من البشر ، وهو المعني بكلمة : ﴿ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ كما رأينا ، وهو الجانب المتحوّل في النفس البشريّة ، والمتعلِّق بعدم الثبات وعدم الاستقرار ، وبإطلالة النفس البشريّة على عالم الدنيا والتفاعل معها .. بينما عنصر النفس الواحدة هو المعنيّ بكلمة : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ ﴾ ، وهو جانب الثبات والاستقرار والتجرّد عما تفرضه نواميس الدنيا على النفس ، وهو الجانب الذي يكوِّن وعاءً للروح والفطرة النقيّة التي فطر الله تعالى الناس عليها ..

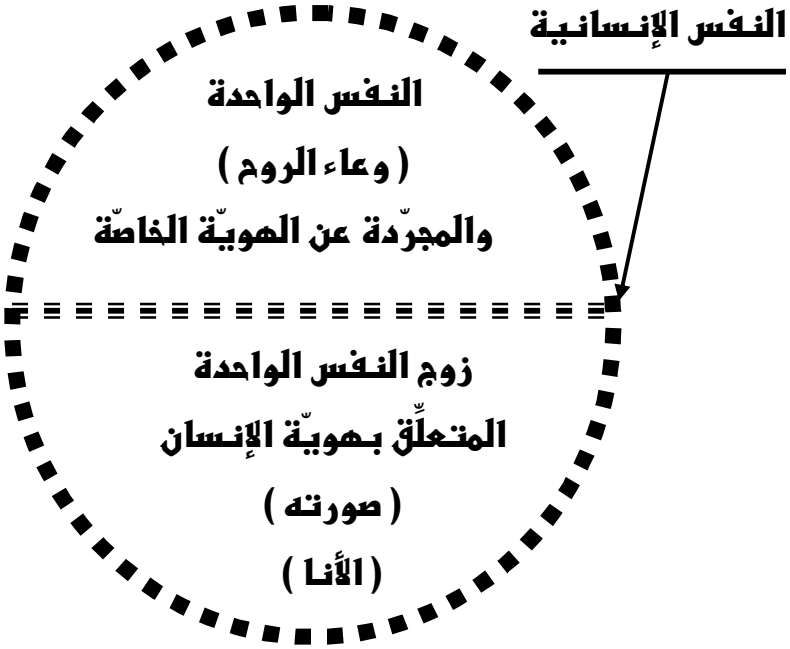

.. فمراحل خلق النفس البشريّة هي كالتالي ..

١ – خلْق نفسٍ واحدة متماثلة عند جميع البشر ، كلٌّ منها ، يُطابق تماماً غيرها عند باقي البشر ..

٢ – خلق (وجعل) زوج لهذه النفس الواحدة ، منها .. حيث مرحلة خلق هذا الزوج سابقة وموصوفة في [النساء : ١] .. ومرحلة جعل هذا الزوج لاحقة وموصوفة في : [الأعراف : ١٨٩] ، [الزمر : ٦] ..

٣ – من هذه الأنفس (بزوجيها : النفس الواحدة ، وزوجها) ، جُعلت الأزواج (الذكورة ، والأنوثة) .. ومن خلال التدبير الذي جعله الله تعالى ، عبر مواءمة أجساد لها في عالمنا المادّي ، يتمُّ خلق البنين والحفدة ، ويتمُّ بثُّ البشر في هذه الأرض ..

.. والتجاذب والتنافر ما بين زوجي النفس (النفس الواحدة ، وزوجها المخلوق والمجعول منها) ، يحسُّ به الإنسان في صراعه الداخلي مع أيِّ قضيّة تواجهه من قضايا الحياة ، وذلك بين قوّتين مختلفتين ، هما : القوّة الحاملة للثبات والتجرّد عن الهوى (قوّة الفطرة الإنسانيّة) من جهة ، وقوّة تفاعل النفس البشريّة مع عالم الدنيا (هويّة الأنا ومرادها) ، من جهةٍ أُخرى ..

.. وفي النصِّ الكريم التالي ، نرى صورةً لها إسقاطاتها في كلِّ زمانٍ ومكان ، لتأثير زوج النفس الواحدة عليها ، داخل النفس البشريّة بشكلٍ عام ، وذلك بتصوير حالة للتفاعل بين النفس الواحدة وزوجها ، وكيف يؤثِّر زوج النفس الواحدة عليها ، ويصبغها بلون مراده ..

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٩ - ١٩٢]

.. وفيما يلي اقتطع - كنموذج من تفاسيرنا الموروثة - نصّاً حرفيّاً من تفسير الرازي فيما يخصّ تفسير هذه المسألة :

[[المروي عن ابن عباس { هُوَ الذي خَلَقَكُمْ مّن نَّفْسٍ واحدة } وهي نفس آدم { وجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا } أي حواء خلقها الله من ضلع آدم عليه السلام من غير أذى { فَلَمَّا تَغَشَّاهَا } آدم { حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَلَمَّا أَثْقَلَت } أي ثقل الولد في بطنها أتاها إبليس في صورة رجل وقال : ما هذا يا حواء إني أخاف أن يكون كلباً أو بهيمة وما يدريك من أين يخرج ؟ أمن دبرك فيقتلك أو ينشق بطنك ؟ فخافت حواء ، وذكرت ذلك لآدم عليه السلام ، فلم يزالا في هم من ذلك ، ثم أتاها وقال : إن سألت الله أن يجعله صالحاً سوياً مثلك ويسهل خروجه من بطنك تسميه عبد الحرث ، وكان اسم إبليس في الملائكة الحرث فذلك قوله : { فَلَمَّا آتاهما صالحا جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتاهما } أي لما آتاهما الله ولداً سوياً صالحاً جعلا له شريكاً أي جعل آدم وحواء له شريكاً ، والمراد به الحرث هذا تمام القصة .]] .. انتهى الاقتباس ..

.. ويتابع الرازي - بكلام رائع - ليردّ على هذا التفسير الفاسد ، فيقول وبالحرف الواحد :

[[واعلم أن هذا التأويل فاسد ويدل عليه وجوه :

الأول : **أنه تعالى قال : { فتعالى الله عَمَّا يُشْرِكُونَ } وذلك يدل على أن الذين أتوا بهذا الشرك جماعة .**

الثاني : أنه تعالى قال بعده : { أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ } [الأعراف : ١٩١] وهذا يدل على أن المقصود من هذه الآية الرد على من جعل الأصنام شركاء لله تعالى ، وما جرى لإبليس اللعين في هذه الآية ذكر .

الثالث : لو كان المراد إبليس لقال : (أيشركون من لا يخلق شيئاً) ، ولم يقل (ما لا يخلق شيئاً) ، لأن العاقل إنما يذكر بصيغة «من» لا بصيغة «ما»

الرابع : أن آدم عليه السلام كان أشد الناس معرفة بإبليس ، وكان عالماً بجميع الأسماء كما قال تعالى : { وَعَلَّمَ آدَمَ الأسماء كُلَّهَا } فكان لا بد وأن يكون قد علم أن اسم إبليس هو الحرث فمع العداوة الشديدة التي بينه وبين آدم ومع علمه بأن اسمه هو الحرث كيف سمى ولد نفسه بعبد الحرث ؟ وكيف ضاقت عليه الأسماء حتى أنه لم يجد سوى هذا الاسم ؟

الخامس : أن الواحد منا لو حصل له ولد يرجو منه الخير والصلاح ، فجاءه إنسان ودعاه إلى أن يسميه بمثل هذه الأسماء لزجره وأنكر عليه أشد الإنكار . فآدم عليه السلام مع نبوته وعلمه الكثير الذي حصل من قوله : { وَعَلَّمَ آدَمَ الأسماء كُلَّهَا } [البقرة : ٣١] وتجاربه الكثيرة التي حصلت له بسبب الزلة التي وقع فيها لأجل وسوسة إبليس ، كيف لم يتنبه لهذا القدر وكيف لم يعرف أن ذلك من الأفعال المنكرة التي يجب على العاقل الاحتراز منها

السادس : أن بتقدير أن آدم عليه السلام ، سماه بعبد الحرث ، فلا يخلو إما أن يقال إنه جعل هذا اللفظ اسم علم له ، أو جعله صفة له ، بمعنى أنه أخبر بهذا اللفظ أنه عبد الحرث ومخلوق من قبله . فإن كان الأول لم يكن هذا شركاً بالله لأن أسماء الأعلام والألقاب لا تفيد في المسميات فائدة ، فلم يلزم من التسمية بهذا اللفظ حصول الإشراك ، وإن كان الثاني كان هذا قولاً بأن آدم عليه السلام اعتقد أن لله شريكاً في الخلق

والإيجاد والتكوين وذلك يوجب الجزم بتكفير آدم ، وذلك لا يقوله عاقل . فثبت بهذه الوجوه أن هذا القول فاسد ويجب على العاقل المسلم أن لا يلتفت إليه .]] .. انتهى الاقتباس ..

.. لكن .. للأسف .. بعد هذا التفنيد الرائع للرازي (الذي تكرهه المشايخ لأنَّه يفعّل عقله إلى درجة ما مقارنة مع غيره من المفسِّرين) ، لا نرى تفسيراً منسجماً مع صياغة هذه العبارات القرآنيّة ، وذلك في جميع تفاسيرنا دون استثناء ، سواء تفاسير السابقين أم المعاصرين ..

.. الآن للنظر إلى هذا النصِّ الكريم من منظار ما وصلنا إليه في هذا البحث ..

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٩ - ١٩٢]

.. العبارات القرآنيّة ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ بيّنا أنَّها تعني : مرحلة خلق النفس الواحدة المستقرّة الثابتة (وعاء الروح) ، ومرحلة جعل زوجها منها وهو جانب (الأنا) المتعلِّق بهويّة الإنسان (صورته) ..

.. العبارة القرآنيّة : ﴿ لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ نرى أنَّ الفاعل فيها يتعلَّق بالعنصر الثاني للنفس : ﴿ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ الذي هو - كما رأينا - زوجها المخلوق والمجعول منها .. فكون هذا العنصر ليس مُستقرّاً ، ومتعلّقاً بالدنيا وتحوّلاتها ، وبالأنا وهويّة الإنسان ، فإنَّ

صلاحه يكون بالسكن إلى النفس الواحدة التي وصفها القرآن الكريم – كما رأينا – بقوله : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ ﴾ ، كونها وعاءً للروح ، وثابتة ومجرّدة عن تحوّلات عالم الدنيا ..

.. وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا ﴾ ، يبيّن لنا تغطية زوج النفس (المتعلّق بالأنا وهويّة الإنسان) للنفس الواحدة .. بمعنى : حالة إحاطة عنصر زوج النفس وتغطيته كتأثير على النفس الواحدة ، وصبغ النفس الواحدة بمراد زوج النفس (الأنا) ..

.. وكلمة ﴿ تَغَشَّىٰهَا ﴾ كمشتق من الجذر (غ ، ش ، ي) ، لا تسعفهم دلالاتها فيما ذهبوا إليه ، من أنّها تعني لقاء الزوجية .. فالغِشاءُ الغِطاءُ .. غَشَّيْت الشيءَ تَغْشِية إذا غَطَّيْته .. وغَشَّاهُ تَغْشِيةً إذا غَطَّاه .. وغَشِيَ الشيء إذا لابَسَه .. ومنه قوله تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس : ٩]

.. فما نراه أنّ كلمة ﴿ فَأَغْشَيْنَٰهُمْ ﴾ تعني وضعْنا غطاءً (سدًّا) عليهم ، يُحيط بهم من بين أيديهم ومن خلفهم ، بحيث أصبحوا لا يبصرون ..

.. واستَغْشى ثِيابَه وتَغَشَّى بها : تَغَطَّى بها كَيْ لا يُرَى ولا يُسْمَع .. ومنه قوله تعالى :

﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [هود : ٥]

﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ [نوح : ٧]

.. ومن ينظر في مشتقّات الجذر (غ ، ش ، ي) في كتاب الله تعالى ، يرى أنّها تدور في إطار التغطية والإحاطة ، ولا تعني أبداً – ولا بأيٍّ وجهٍ من الأوجه – لقاء الزوجيّة ..

.. العبارة القرآنيّة ﴿ حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا ﴾ تبيّن لنا حمل النفس الواحدة (مكمن الاستقرار) لمراد زوج النفس (الأنا) .. فهذا الحمل هو نتيجة لتغشّي زوج النفس (الأنا) عليها ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا ﴾ وبالتالي فرض مراد الأنا عليها ، وحملها لهذا المُراد ..

.. وتغشّي مُراد الأنا على جانب الثبات والاستقرار ووعاء حمل الروح ، هو صبغٌ للنفس الواحدة بلون مراد الأنا .. وهذا الحمل يبدأ خفيفاً في النفس الواحدة ، كونه يبدأ برجحان إرادة الأنا عليها كمراد وخاطر ..

.. الآن .. بعد حمل النفس الواحدة لهذا الحمل الخفيف ، تتفاعل معه ، فتجتازه مستمرّة ومعتادةً عليه كحملٍ خفيف ، وذلك بكينونة كاملة لها حيثياتها من الاكتمال .. بمعنى : تُصبغ بلونه ، وهذا هو ما تصوِّره العبارة القرآنيّة ﴿ فَمَرَّتْ بِهِۦ ﴾ ..... فتغشّي (الأنا) على عنصر الفطرة النقيّة ، أدّى إلى أن تتلوَّن النفس الواحدة الثابتة بلون الأنا : ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا ﴾ ، وهذا أدّى إلى أن تعبره النفس الواحدة وتعيشه كحالة لها حيثيّاتها المكتملة كحمل خفيف : ﴿ حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ﴾ ..

.. وكون كلمة ﴿ حَمْلاً ﴾ هي مفعول مطلق ﴿ حَمَلَتْ حَمْلاً ﴾ ، وكون هذا الحمل مصدراً موصوفاً بالخِفّة ﴿ حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا ﴾ ، إضافة إلى دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ فَمَرَّتْ بِهِۦ ﴾ ، حيث الضمير في كلمة ﴿ بِهِۦ ﴾ يتعلّق بالحمل الخفيف .. كلُّ ذلك يجعل من التفسير التاريخي بعيداً عن حقيقة دلالات هذا النصِّ الكريم ، من كون الحمل جنيناً حملته حواء ..

.. الآن .. الاستمرار بعبور هذا الحمل الخفيف وتراكمه في النفس الواحدة يؤدّي إلى إثقال هذه النفس ، كونها أصبحت تحمل حملاً ثقيلاً نتيجة تراكم الأحمال الخفيفة

والاستمرار بها .. فاختيار مراد الدنيا ، هو حِمْل ، تراكمه يؤدِّي إلى إثقال الحامل لهذا الحمل ..

﴿ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ﴾ [فاطر : ١٨]

.. وهنا .. بعد أن أثقلت النفس الواحدة نتيجة تغشّيها مِن قِبَل زوجها (الأنا) وصبْغها بمراد الأنا ، تكون قد سارت في موكب زوجها (الأنا) ، وبالتالي تكون مع زوجها (الأنا) في قضيّة هذا الحمل الثقيل ..

.. إذاً .. بعد أن أثقلت النفس بالحمل الذي حملته نتيجة تغشّي زوجها (الأنا) عليها ، فإنَّها وزوجها ينتظران نتيجة هذا الحمل الثقيل ، ولذلك يتوجَّهان إلى الله تعالى ربّهما بالدعاء لجعل نتيجة هذا المراد (الذي حملته نتيجة تغشّي زوجها عليها) صالحاً ، وأنَّه إن آتاهما الله تعالى ربّهما صالحاً سيكونان (النفس الواحدة ، وزوجها) من الشاكرين ..

﴿ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ ..

.. إنَّ كلمة ﴿ أَثْقَلَت ﴾ بهذه الصيغة التي ترد بها ، تؤكِّد فساد التفسير الموروث من أساسه .. فمثقال الشيء وزنه ..

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة : ٧ – ٨]

.. والأثقال أتت في كتاب الله تعالى بمعنى المتاع من زاوية كونه وزناً يصعب على الإنسان حمله ..

﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل : ٧]

.. لكن .. عندما يتعلَّق الأمر بالنفس كقيمة معنويّة مجرَّدة عن المادّة ، فإنَّ الأثقال تكون بمعنى الذنوب ..

﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٣]

.. فالأثقال هنا لا شكَّ أنّها بمعنى الأوزار ..

﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل : ٢٥]

.. لذلك فالنفس عندما تُثقَل بذنوبها (حيث أثقل فعل رباعي متعدِّي بالهمز) ، تُصبح مُثقَلة (حيث مُثقَلة اسم مفعول من أثقل) ..

﴿ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ ﴾ [فاطر : ١٨]

.. إذاً .. ما تحلبه النفس (كقيمة معنويّة غير ماديّة) عليها من أوزار ، هو عملية إثقال لهذه النفس (من الرباعي أثقل) وليس عملية ثقل (من الثلاثي ثقل) ..

.. فالفعل الثلاثي (ثقل) في كتاب الله تعالى – جاء متعلّقاً بالنفس – للموازين ، ونراه بصورة إيجابية ، على العكس من الرباعي (أثقل) ..

﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ٨]

﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٢]

﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ [القارعة : ٦ – ٧]

.. بينما نرى في كتاب الله تعالى أنَّ اسم المفعول للفعل الرباعي (أثقل) ، يصف الجانب السلبي بالنسبة للإنسان ..

﴿ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ ﴾ [فاطر : ١٨]

﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾ [الطور : ٤٠]

﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾ [القلم : ٤٦]

.. من هنا نرى .. أنَّ قوله تعالى ﴿ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ لا يمكن أن تكون فيه العبارة القرآنيّة ﴿ فَلَمَّآ أَثْقَلَت ﴾ بمعنى فلمّا كبر الجنين في بطن حواء وأصبح كبير الوزن يعيق حركتها ، كما يُزعم في جميع تفاسيرنا الموروثة والحديثة ..

.. فكون الثقل نقيض الخِفّة ، وكون النفس الواحدة حملت – بسبب تغشّيها من زوجها (الأنا) – حملاً خفيفاً ، وتراكم هذا الحمل الخفيف إلى أن أثقلت نتيجته بازدياد وزرها ، نرى عظمة الصياغة القرآنيّة بورود كلمة ﴿ أَثْقَلَت ﴾ في هذه العبارة القرآنيّة ..

.. فالنفس الواحدة ، هي بذاتها وكينونتها ﴿ أَثْقَلَت ﴾ نتيجة تغشّي جانب الأنا عليها ، وتراكم مراد الأنا فيها .. إذاً .. الأمر يتعلّق بقيمة معنويّة سلبيّة تملّكت النفس ، وجعلتها بحاجة للالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى ، بطلب الدعاء كي يتمّ الخروج من هذا الحال ..

.. والمثنى المحمول في العبارة القرآنيّة ﴿ دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا ﴾ يدلُّ على أنَّ الدعاء جاء من عنصري النفس (النفس الواحدة ، وزوجها) ، فقد أيقنا أنَّهما بحاجة لتوفيق الله تعالى وحمايته ، وأنَّ النتيجة الصالحة هي بيد الله تعالى ..

.. كلمة ﴿ فَلَمَّآ ﴾ في العبارة القرآنيّة ﴿ فَلَمَّآ أَثْقَلَت ﴾ رابطة ، وحينيّة ، تفيد ربط هذه الجملة بالسياق السابق ، وتفيد في الوقت ذاته معنى حين أثقلت ، وكلا المعنيين متكاملان في تصوير الدلالة المحمولة بهذه الكلمة .. وما نراه أنَّ المُخاطب بالدعاء : ﴿ ٱللَّهَ رَبَّهُمَا ﴾ ، حيث لفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهَ ﴾ مفعول به ، وكلمة ﴿ رَبَّهُمَا ﴾ بدل .. فما الحكمة من توجيه الدعاء لمقامي الإلوهيّة والربوبيّة في الوقت ذاته ؟ ..

.. النفس الواحدة أقرب إلى التعلّق بصفة الإلوهيّة ﴿ ٱللَّهَ ﴾ كونها – كما رأينا – وعاء الروح في النفس البشريّة ، وهي وزوجها (صورة الإنسان وهويّته) تتعلّقان بصفة

الربوبيّة ﴿ رَبَّهُمَا ﴾ ، كون معاش الإنسان وتسخير أسباب الحياة له (مهما كان معتقده) يتعلَّق بصفة الربوبيّة لله تعالى ... وكون النفس الواحدة هي الأصل ، وهي التي أثقلت بالحمل ، نرى تقديم صفة الإلوهيّة ﴿ ٱللَّهَ رَبَّهُمَا ﴾ ..

.. ودعاء النفس الواحدة وزوجها هو : ﴿ لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ .. وما نراه هو تعهّد النفس الواحدة وزوجها ، بأن يكونا من الشاكرين ، إن آتاهما الله تعالى ربّهما صالحاً .. بمعنى : إن كان مآلهما (النفس الواحدة ، وزوجها) صالحاً ، بعفو الله تعالى ومغفرته وعطائه ، فإنَّهما سيكونان من الشاكرين ..

.. وفي ورود كلمة ﴿ صَٰلِحًا ﴾ بهذه الحيثيّة من الصياغة ، ودون تعلّق بكلمة ولد ، أو أيِّ صيغة أُخرى تشير إليه ، ما يؤكِّد فساد التفسير الموروث من أساسه .. فالنصّ لم يأت على سبيل المثال بالصيغة (ولئن آتيتنا ولداً صالحاً) .. أو : (ولئن جعلته صالحاً) ، أو (ولئن كان صالحاً) .. فالصلاح المطلوب في الدعاء من الله تعالى ، أمرٌ آخر غير ما أثقلت به النفس ، وهو عطاءٌ مُراد من الله تعالى لزوجي النفس ذاتهما ..

.. والعبارات القرآنيّة : ﴿ دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ تبيّن لنا نكوص النفس البشريّة (بالشرك) ، بعدما تأخذ مرادها من الله تعالى ... وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في مكان آخر ..

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦٥]

.. والكلمات [[﴿ دَّعَوَا ﴾ ،، ﴿ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ ،، ﴿ جَعَلَا ﴾]] نراها بصيغة المثنّى ، كونها تتعلَّق بالزوجين : [النفس الواحدة ، وزوجها (الأنا)] .. فهذا النصُّ [[﴿ مِّن

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ ﴾]] يُصوِّر خلق النفس الواحدة ، وجَعْل زوجها منها ، وكيف يلوِّث الشركُ النفس نتيجة تغشيّ زوج (الأنا) فيها على النفس الواحدة ، وذلك بصورة عامّة ، لها إسقاطاتها النسبيّة في أيِّ نفس .. لذلك فالخطاب كما نرى ، يأتي بصيغة المثنّى ، ليتعلّق بزوجي النفس ..

.. وما نراه أنَّ بداية النصّ هي بصيغة المُخاطب والجمع : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ، كون جميع البشر خُلقت أنفسهم بالآليّة التي بيّناها .. لكن .. ليس كلُّ البشر يطغى في نفوسهم زوج الأنا على النفس الواحدة (وعاء الروح) ، بحيث تصل النفس الواحدة وزوجها إلى حالة الشرك .. لذلك .. نرى صيغة الغائب والمثنّى في النصِّ المُصوِّر لتغشّي زوج الأنا (صورة الإنسان) على النفس الواحدة (وعاء الروح) المشتركة بين جميع البشر ..

﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ ﴾

.. وأيضاً كون طغيان زوج النفس الواحدة (الأنا) عليها ، والانتقال إلى ساحة الشرك ، ليس حاصلاً عند جميع البشر .. لذلك .. نرى نهاية الآية الكريمة بصيغة الغائب والجمع ، لتشمل جميع البشر الذين تطغى فيهم الأنا على الفطرة النقيّة ..

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾

.. وصيغة الجمع هذه ، والتي تصف الشرك في كلِّ زمانٍ ومكان ، تنسف التفسير الموروث من أساسه ، فكما نرى يحمل النصُّ بياناً يصف شرك المشركين عامّة ، وليس خاصّاً بآدم وزوجه .. وهناك أُمور كثيرة تبيّن فساد التفسير الموروث ، منها ما تعرَّضنا له في سياق هذا البحث ، ومنها ما لم نتعرَّض له .. من هذه الأمور .. ورود كلمة ﴿ مَا ﴾ في العبارة القرآنيّة ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا ﴾ دون كلمة (**مَن**) .. فلو كانت القصّة الواردة في التفاسير الموروثة والخاصّة بهذا النصّ صحيحة ، لكان – على الأقل – قد وردت كلمة (**مَن**) دون كلمة ﴿ مَا ﴾ .. فإبليس كفرد مكلَّف ممتحن ومعلوم ، تناسبه في هذا النصِّ الكريم كلمة (**مَن**) وليس كلمة ﴿ مَا ﴾ ..

.. من خلال سياق هذا البحث وتفسير الآيات الكريمة التي تعرَّضنا لها فيه ، حيث كلّ هذه التفاسير – بفضل الله تعالى – كشفٌ جديد يُعرض لأوَّل مرّة منذ نزول القرآن الكريم ، نرى كيف أنَّ عدم إتّباع الموروث لمنهجيّة علميّة سليمة في تدبّر آيات كتاب الله تعالى ، يؤدِّي إلى تشويه الدلالات التي يحملها كتاب الله تعالى ، وإلى عدم رؤية الحقِّ والنواميس التي يبيّنها ، وبالنتيجة يؤدّي إلى الإساءة لكتاب الله تعالى .. من هنا نقول : العدوُّ الأوَّل لمنهج الله تعالى ، هو محاربة التدبّر والتفكّر في آيات كتابه الكريم ، وتقديم رجالات التاريخ كأصنام ، يتمُّ فرض أقوالهم وتخيّلاتهم على دلالات كتاب الله تعالى ، وخداع الناس وسوقهم كقطيع خلف تلك الأصنام ..

المهندس عدنان الرفاعي